تشرين النصر وتشرين التصحيح

شعر: عبدالمجيد عرفة

تشرين ياشهر مجد توج الزمنا
وفاح منه أريج عاطر وسنا

هو الربيع بتقويم الزمان ولو
أسطيع أوقفت في تقويمي الزمنا

شهر سما فوق هام الدهر زينه
مع الخمائل سيف صارم وقنا

مسربلا بثياب الفخر طرزها
دم الشباب فداء للحمى هتنا

ذادوا عن الأرض ، ابطالا غطارفة
يحمون للعلمين العرض والوطنا

ساروا على درب أجداد لنا كتبوا
من البطولات تاريخا يضيء لنا

وزهّروا الأرض بالأرواح يبذلها
على الفداء شباب جربوا المحنا

ما راعهم غدر من راموا مقارعة
وعزمهم في قراع الخصم ما وهنا

يقودهم أسد يفدي بمهجته
جند الفداء عطاء منه لا ثمنا

يثير من روحه في جنده هِمما

ويبعث الأمل المنشود لو سكنا

يشع من فكره نورا يضيء لنا

إذا ادلهمت ليال والبلاء دنا

تأزر البعث جلبابا يزينه

فزين الوشي والجلباب والردنا

وكان صبحا علا تشرين غرته

فهب من كان في تشرين قد وسنا

قد سحح النهج لما اعوج قائمه

ووضح الفكر من ليل له ركنا

فصار في كل قلب رحمة وهدى

وتحت رايته المذعور قد أمنا

وكان طودا بوجه البغي يدحره

مهما تطاول بالطغيان أو حرنا

ما كان يوما لغير الله ملتمسا

وما استجاب لغير الشعب أو هدنا

فرأيه من جموع الشعب مقتبس

وهديه من جلال الله قد رهنا

يا حافظ الحق ، إني جئت أقبس من

صفاتكم ماينير الليل لو دجنا

ويعجز الشعر عن وصف وقد عجزت

كل القوافي وشعري بالمديح ونى

فأنت أكبر مما قال مادحكم

وأنت جسدت في تشرينك الوطنا

فإن رجعنا إلى تشرين نذكره

فإن تشرين شهر غيّر الزمنا

معروف الرصافي

من رواد الأدب العربي الحديث

بقلم:

د. محمد صلاح الدين موسى

معروف الرصافي رحمه الله شاعر عربي فحل ولد في العراق ونشأ فيه ، اشتغل بالتعليم في العراق والاستانة وفلسطين ودخل مجلس النواب العثماني نائبا عن متصرفية (المنتفك) من أعمال العراق ٠

عاصر عبد الحميد واكتوى مع الشعوب العثمانية والأمة العربية خاصة بنار مظالمه فتألم لشدة وقع تلك المظالم ولكنه لم ينطو على ألمه شأن المستضعفين من الناس الذين يقع الظلم على رؤوسهم فيطأطئونها صابرين وينصب الأذى على نفوسهم فيحتملون الأذى خاضعين بل ثار على الظلم ثورة عنيفة صاخبة وقاوم الأذى مقاومة قوية صارخة وقد شهد الانقلاب العثماني وسقوط الجبار عن العرش فثارت الحمية في نفسه وصاح في وجه الجبار بصوت متهدج جهوري مجلجل يحمل كل معاني ارواء الغليل ورأى طلعة الدستور البهية مشرقة على الامبرطورية العثمانية فكبر وهلل ورحب بالدستور ترحيب الصب المستهام وتغنى بحسناته بأعذب الأنغام ٠

خالط الاتحاديين وهم في منصة الحكم وفي ظل الدستور فأطرى ومدح وعندما جنحوا الى سياسة التتريك صاح في وجوههم غاضبا مؤنبا عاتبا ورأى توثب العرب للنهضة وتحفزهم للنضال في سبيل الحرية فأحس بإحساسهم ومشى في صفوفهم يثير في نفوسهم ما كمن من قوة ويحرك في عواطفهم ما خمد من الانطلاق والحركة واتصل بالملك العربي بالعراق والشام وبالحركات الوطنية في العراق وسورية وفلسطين فشقي وتنعم وبكى وتبسم ٠٠

معروف الرصافي كما عرفناه في شعره بالسماع والمطالعة عميق الشعور والذكاء ، مرهف الحس حائر النفس قلق العواطف مكبوت الرغبات، وهو على علمه وفضله وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلى سبقه في الحركة العربية القومية

وجليل أثره في ميدان الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال عاش في ضنك من الحياة وبؤس من العيش ولكن هذا الضنك وهذا البؤس لم يؤثرا على عزة نفسه ولم يسلماه لغير الكرامة وعلو الهمة وكثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت :

تعودكل بؤسها ونعيمها
وعشنا على بؤس ولم نتعود

وكل ما فعل الفقر في نفس الرصافي هو الكبت فقد كبت الفقر وان شئت فقل الشعور بالنقص عزيزة التغلب والسيطرة فانكبت هذه الغريزة القوية العنيفة فأقضت عليه مضجعه وزلزلت اركان حياته حتى هدته المعرفة الى ما تعانيه الامة العربية من آلام القهر والخضوع في قهرها صورة لسلطته المقهورة فدفعه هذا التشابه الى التفكير في الغير بدل التفكير في الذات تخفيفا لألم الكبت فراح الرصافي بعد هذا الانتقال النفسي يصف ما تلاقي الامة العربية من ألم الخضوع لظلم المستبدين الحكام ، ومرارة الانقياد لسلطان الجهل وحكم العادات الضارة والتقاليد السقيمة وهو بهذا انما يصور رغبته في الحرية الاجتماعية والسياسية ويضع خطط الوصول الى هذه الحرية لتطبقها الامة في نضالها ، ومن حسن حظ الأمم المستضعفة أن يكون بين أفرادها أمثال الرصافي ممن كبتت فيهم رغبة الحرية ووهبهم الله قوة البيان سلاحا يقاتلون به عدو الامة وعدوهم فهؤلاء المكبوتون في الامم الخاضعة المقهورة كالحرارة في الاجسام والنور في الظلام والحد القاطع في شفرة الحسام .

أحس الرصافي بالظلم الواقع على الأمة العربية من قبل السلطان عبد الحميد وحكومته المؤلفة من أوشاب الناس ورأى الخضوع لهذا الظلم باديا على الأمة العربية بدوا شائعا معيبا وهي الامة العريقة في الحرية والاستقلال والقوة والكرامة فتأذى بهذا الظلم وبرم بهذا الخضوع فنظم قصيدة سماها "تنبيه النيام" بدأها بالتسال عن الوقت الذي تنتبه فيه الأمة العربية فتدفع عن نفسها الأذى وتسترجع خقها المسلوب ويبدي تعجبه لصبرها على الضيم وبكائها على الظلم .

عجبت لقوم يخضعون لدولة
يسوسهم بالموبقات عبيدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولكن ما قيمة التألم في هذا المعرض فخير منه توجيه الأمة الى الهدف وأي هدف أحلى من الحرية في منظر الأمة المستعبدة .

ألا إنما حرية العيش غادة
منى كل نفس وصلها ووفودها
يضيء وجنات الحب حياة جبينها
وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها

أخذ الرصافي يقذف بحممه في وجه الظالم المتربع على العرش ويبدي باقات عواطفه العطرة لأمته الخاضعة فينعشها ويغذيها ويحفزها حتى أحدثت في نجد حوادث دامية بين ابن الرشيد حليف السلطان وابن السعود خصمه ، فاهتبل السلطان الفرصة وساق على المتخاصمين جيشا عربيا من العراق ليفك الخصام في الظاهر وليعين ابن الرشيد على ابن السعود في الباطل ، فاشتبك الجيش مع المتخاصمين وكلهم عرب فجرت الدماء حتى صبغت رمال الصحراء تحقيقا لرغبة السلطان الذي أراد أن يضعف من قوة الأمة العربية بقتل زهرات شبابها من الحاضرة والبادية ويباعد بين صفوفها بتقوية البغضاء والعداوة بين أمرائها وقادة الرأي فيها فقام الرصافي لهذا الحادث وقعد برق ورعد ونظم قصيدة سماها (أيقاظ الرقود) خاطب بها العرب ووضع أمامهم ما أراد السلطان بسوق الحملة العربية على الاميرين

العربيين في قلب الجزيرة العربية :

حكومة شعبنا جارت وصارت
علينا تستبد بما أشارت
فلا أحد دعته ولا استشارت
وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ولم ينس الرصافي في هذا الموقف أن يوجه أقسى عبارات اللوم والتعنيف على ماارتكب من الاعمال التي تتنافى ومصلحة الأمة العربية وأخذ يستعرض ما أصاب الجنود العرب من قتل في تلك المعركة المشؤومة وحاشا الرصافي أن ينسى عبد الحميد في هذا الموقف وهو منبع الالام الجسام والمصائب العظام :

أقول وليس بعض القول حدا
لسلطان تجبر واستبدا
تصدى عن الأمور وما استعدا
ألا أيها الملك المفدى

سم البلدان مهما شئت خسفا
وارسل من تشاء الى الحدود

فدتك الناس من ملك مطاع
أين ما شئت من طرق وابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع
فهل هذي البلاد سوى ضياع؟

وظل الرصافي على هذه الحال تغلي عواطفه في صدره بمقاومة الظلم وتتطاير قذائف حقده على الاستبداد والخسف ينظم القصيدة في بغداد ويرسلها للنشر في مصر حتى تم الانقلاب العثماني وسقط عبد الحميد عن العرش فصاح بصوت جهوري :

ملكت وما العباد سوى عبيد
تنعم في قصورك غير دار
اعاش الناس أم هم في بوار
وهب أن الممالك في دمار

فانك لم تطالب باعتذار
أليس بناء(يلدز) بالمشيد

قمنا على الملك الجبار نقرعه
بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه مرفى الهيجا معضلة
ألقت ضراما على الراغبين مازوزا
وتأكل الموت دون العز تمضغه
كمضغنا التمر برنيا وسمريزا

صاح الرصافي صيحة في وجه الجبار الهاوي عن العرش والتفت يتغنى بالحرية والعدالة والمساواة ويشيد بذكر الدستور وأبطال الانقلاب غير مفرق بين عنصر وعنصر من مجموع العناصر العثمانية حتى رأى الاتحاديين يبيتون ضد العرب ورأى العرب ينتبهون للأمر فيطالبون حقهم في الاصلاح وحقهم في الاستقلال الذاتي ، فكشر في وجه الاتحاديين وأقبل على العرب يحضهم على طلب الحرية وبذل الثمن لهذه الحرية التي لا تذوق أمة طعم السعادة بدونها ولا يصل اليها شعب إلا بدماء المهج ، فنظم قصيدة سماها (في معرض السيف) يؤيد بها الحركة الاصلاحية في بيروت ويدعو جميع العرب الى الانضمام اليها :

هي التي كثغور الغيد تبتسم
إذا تطربها الصمصامة الفدم
دع الأماني أو رمهن من ظبه
فإنما هن من غير الظبى حكم
والمجد لا تبنه إلا على أسس
من الحديد وإلا فهو منهزم

والعز لا يجتنى إلا بذي شطب
ماء المنية في غربيه منسجم
فللحسام صليل يرتمي شررا
مفتقا أذن من في أذنه صمم
وإنما العيي للأقوى من ضعف
أركانه فهو في الثاوين مخترم
والمجد يأثل حيث الناس يدعمه
حتى إذا زال زال المجد والكرم

نظم الرصافي ذلك الشعر القوي ضد الظلم والاستبداد في ذلك الزمان الظالم الرهيب ولم يبقه محفوظا في صدره او مطويا في بطن دفتره بل نشره على الناس سرا وعلنا بلسانه وقلمه فكان عمله جرأة عبقري وشجاعة بطل أما تأثيره في نفوس العرب في ذلك الزمن فقد كان عظيما جدا ولا نشك أنه كان شعلة قوية الحرارة والنور اشعلت في نفس الامة العربية رغبة الحرية وأنارت أمامها سبيل الحياة فمشت بقوة تلك الحرارة وبهدى ذلك النور خطوات موفقة نحو الحرية والحياة وأما بعد الدستور فقد رفع الرصافي علم الحرية أمام أمته جهارا نهارا وأخذ يقودها إلى الحياة في ظل ذلك العلم على نغمات شعره الشجية المطربة تارة وبقوارع كلمته وصوادع حكمه وتارة أخرى ، حتى أصبح شعر الرصافي بسمات جميله على ثغور العرب ، وآيات جليلة على السنتهم وآمالا لذيذة في قلوبهم وهزات عنيفة في نفوسهم وعزمات صادقة في هممهم وصوارم باترة في أيديهم ، فقاوموا الظالم ودفعوا الأذى وشادوا الممالك فكان شعر الرصافي أناشيد الثائرين ، وأهازيج الفاتحين ، وأغاني المنتصرين الظافرين ، وما كادت تستقر الممالك العربية وتتوطد فيها العروش وتشاد دور العلم وتفتح نوادي الأدب حتى أصبح شعر الرصافي نورا قويا يغمر تلك الممالك ومصابيح منيرة تسطع في دور العلم وينابيع غزيرة تخصب في نوادي الأدب .

وما دمنا نتحدث عن شعر الرصافي القوي وتأثيره الواسع المدى في نفسية الأمة العربية فمن الحق علينا أن نبحث عن سر هذه القوة العربية التي جعلت لشعر الرصافي ذلك التأثير العجيب .

لقد درسنا شعر الرصافي وأخذنا ما استنتجناه من هذه الدراسة الى ما استنتجناه من دراستنا لنفسه خلال المدة التي قضاها مدرسا للغة العربية في كلية دار المعلمين في القدس فكانت نتيجة الدراستين الجزم بأن سر قوة الرصافي في شعره وفي شخصيته هو الايمان .

آمن الرصافي بحق الأمة العربية في الحياة الحرة وآمن بأن الوسيلة الى هذا الحق هي القوة فانفجرت نفسه بهذه القوة شعرا قويا يولد به القوة في نفس الأمة العربية لتأخذ بها حقها في الحياة الحرة انفجرت نفس الرصافي بشعر فيه القوة على اختلاف أنواع القوة . فالعلم قوة تتخذ منه الأمم التي تطلب الحياة وسيلة للحياة ، وما دام العلم قوة فله من شعر الرصافي نصيب وافر فهذه قصائده الكونيات والاجتماعيات تقوم على أحدث نظريات العلم وأصح قواعد الاجتماع ترى فيها شروحا لوحدة المادة والجاذبية والأثير والكهرباء وأشعة رونتجن وآراء دارون في النشوء والارتقاء وتنازع البقاء وبقاء الانسب ومذهب ديكارت في التوصل الى اليقين بالشك ومبادىء الاشتراكية في أن تكون للعامل حصة من انتاجه:

تركوا السعي والتكسب في الدنيا
وعاشوا على الرعية عاله
يأكلون اللباب من كد قوم
أعوزتهم سفينة من تخاله
يتجلى الضيم فيهم فتبكى
أعين السعي من نعيم البطالة
ليس هذا في مذهب الاشترا
كية إلا من الأمور المحاله

واصلاح الوسط العربي من الناحية الاجتماعية قوة للأمة توصلها إلى الغاية المرجوة في الحياة ، إذن فللأصلاح الاجتماعي على اختلاف أنواعه في الوسط العربي حظ كبير من شعر الرصافي فهذه قصيدته «المطلقة» يصف بها ويلات الطلاق ومآسيه على المرأة المسلمة وينتقد بقوة الطلاق ولا سيما إذا كان وقوعه بغير قصد الطلاق وهذه قصيدته «اليتم في العيد» تفيض رحمة وحنانا على الضعفاء وقوة وشدة لمن يقف من العرب موقف العجز والذلة ويصيح بهم :

نهوضا إلى العز الصراح بعزمه
تخر لمرماها الطغاة وتركع
ألا فاكتبوا ضك النهوض إلى
العلى فأني على موتي به لموقع

والنساء السن نصف الأمة ..؟!!

فكيف يمكن للأمة العربية أن تصل إلى أهدافها ونصفها مشلول ؟ ..!!

إذن فلتحرير المرأة العربية في شعر الرصافي مطارق قوية هائلة يهوي بها على قيود الحجاب والزواج والجهل والحرمان من العمل والعلم :

كم في بيوت القوم من حسرة
تبكي من البؤس بعيني أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها
وأعمل الفقر فيها ميسمه
عاب عليها قومها ضلة
أن تكسب القوت وأن تطعمه
من أي وجه تبتغي رزقها
وطرقها بالجهل مستبهما
وكيف والقوم رأوا سعيها
في طلب الرزق من الملامسه

وأما قصيدته الخالدة في تربية الأمهات التي مطلعها :

هي الأخلاق تنبت كالنبات
إذا سقيت بماء المكرمات

فتعتبر من أقوى أنواع الشعر الاجتماعي وأعمقها أثرا في نفس الأمة وهي لا تزال تشع بنورها القوي في نفوس الفتيات العربيات فيستضئن بنورها ويهتدين بهديها ، ولا تظن فتاة عربية واحدة دخلت المدرسة ولم تحفظ هذه القصيدة وتنتفع بها .

وحرية الفكر اليست غاية من غايات الأمم التي تبذل في سبيل الحصول عليها دماءها ؟؟

إذن فالرصافي يدعو لهذه الحرية لأنه لا يطيق أن يراها مقيدة في الوطن العربي بحيث لا يستطيع المفكر أن يجهر برأيه خيفة من الأذى :

إذا كان للأوطان في الناس غاية
فحرية الأفكار غايتها الكبرى
فأوطانكم لن تستقل سياسيا
إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا
إذا السيف لم يعضده رأي تحرر
فلا نأملن من حده ضربة بكرا

.

وهؤلاء الناس الذين يفاخرون بالعلم الرميم ، اليسوا شرا على الأمة وهلا يستحقون أن يصفعهم الرصافي على وجوههم ليرد عن هذه الاتكالية البشعة الى الثقة بالنفس والاعتماد على الذات :

فشر العاطلين ذو خمول
إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وخير الناس ذو حسب قديم
اقام لنفسه حسبا جديدا
تراه إذا ادعى في الناس فخرا
تقيم له مكارمه الشهودا

.

وهؤلاء الرعاديد الذين يتقاعسون عن ميادين الجهاد بحجة أنهم يرون للأمة أن تعنى

بالعلم قبل الحرية وبالمال قبل الاستقلال ، اليس من حق الرصافي أن يعلمهم الحكمة ويعطيهم فصل الخطاب :... ؟

قد علمتني الليالي في تقلبها
أن الموفق فيها السيف لا الظلم
وأن أصد يوما أنت شائمه
برق تبسم عنه الصارم الحذم
وأخصب الأرض أرض لا تسح بها
إلا من النقع في يوم الوغى ديم
انى أرى المجد في الأيام قاطبة
إلى عبيط دم المحيا به قرم
والمجد أعطى الظبى ميثاق معترف
أن ليس يضحك إلا حين يبتسم

وأما مكانة الرصافي في الأدب العربي ففي الذروة العليا والمقام الأسمى فهو ألمع جوهرة في نتاج أدب العصر وأثمن درة على جبين الشعر فهو والحق شاعر الأمة العربية وباعث روحها وهمتها وحامل لواء جهادها . وأما آثاره في الشعر فديوانان طبع الأول في بيروت مصدرا بمقدمة طيبة للمرحوم الشيخ محي الدين الخياط ثم صدر الديوان الثاني وفيه كل مانظمه الرصافي بعد صدور الديوان الاول وقد صدره الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي بمقدمة تحليلية نفيسة .

د. محمد صلاح الدين موسى
طرابلس - ليبيا
عضو رابطة الكتاب والأدباء

قسمًا دمشق

شعر : جابر خير بك

قسما بحبك ما وجدت سبيلا
إلا إليك ولا ارتضيت بديلا
قسما "دمشق" وما حلفت مواربا
لولاك ما كتب اليراع جميلا
ألهمتني ترف البيان وسحره
من مقلتيك فلن أكون بخيلا
خلق الفؤاد وفي هواك متيم
يشتاق ضمك بكرة وأصيلا
ملكت يداك من العيون سوادها
ومن الضمير فضائلا وميولا
تشفي نسائمك البليلة والشذا
من لاعج القلب المشوق غليلا
ما ضر حسنك لو تمكن عاشق
صادي الجوانح أن ينال قليلا
ما ضر نهرك لو جرى مترنحا
وسقاه من ثغر الحسان شمولا
فأنا المحب ومن زمان غابر
رسم الجمال بيادرا وحقولا

عشق الشفاه الشامسات على الهوى

وسعى ليكشف سرها المجهولا

حور الشآم وكل ريم أتلعت

جيدا كأنداء الصباح أسيلا

وقفت تبادله المحبة والرضى

ترفا ، فيلهب ثغرها تقبيلا

فتساءلت خجلى اللواحظ واللمى

والحسن أجمل أن يكون خجولا

عن فارس قهر المصاعب والردى

فقضى برمش جفونها مقتولا

* *

خلق الجمال وفي خمائل جلق

عاش الإله بحسنها مشغولا

فبدت كما تبدو الجنان وريفة

سكرى الدلال وزادها تدليلا

أغراه حسن الغوطتين ودمر

فأقام فيها لا يطيق رحيلا

نصب الخيام الى جوار فتونها

فرحا ، وقطف ثغرها المعسولا

* *

عذرا " دمشق " إذا كتبت قصائدي

مدحا ، وزدت بيانها تطويلا

فهواك سر في الضمير دفنته

وجعلت قلبي للجمال مقيلا

ووجدت أن الحب عندك خالد

يبقى على مر العصور أصيلا

حملتني الأسفار عنك وكلما

شط المزار بكى الفؤاد طويلا

ولكم رجعت ألم أشتات الرؤى

أشكو البعاد معذبا وملولا

وسدت حبك بين كل جوارحي

وقضيت أحلى العمر عنك رسولا

أكل الأسى قلبي وفاضت أدمعي

يوم الرحيل جداولا وسيولا

تتراقص الأشواق خلف أضالعي

فيرف وجهك في الضمير بليلا

وأنام والأحلام متعة عاشق

فلعله يبقى الهوى موصولا

لله ما فعلت "دمشق" بخافقي

عاش الحياة بحبها مغلولا

وتخير الوجه المنور قبلة

يوم الحساب وطرفها المكحولا

* *

مهد الحضارة والخلود وما حوى

سفر الزمان عن الرجال فصولا

أحلى النجوم على يديك تساقطت

نشوى تلملم ذيلها المبلولا

وحنت عليك الشمس يغسل وجهها

والمجد صاحب من عرينك فتية
أسدا إذا وقع الردى وعقولا
كل بسفر الخلد سجل اسمه
بطلا وظل على الدجى قنديلا

* * *

يا شام حسبك في القلوب مكانة
شمخت وصارت للصمود دليلا
أهدت الى التاريخ من فرسانها
جيلا بمدرجة النضال فجيلا
حملت يداك عن العروبة همها
دوما وكنت الصارم المصقولا
دفنت فلول الطائفية كلها
ومضت تدك كيانها المخذولا
قرآن أحمد في رحاب طقوسها
صان الحقوق وكرم الإنجيلا
فالدين أنزله الإله محبة
وتسامحا لا فتنة وذحولا
شرف الحياة وفخر كل شريعة
أن لا يعيش بها العزيز ذليلا

* *

بنت الشآم ، وبنت كل فضيلة
وقف الزمان ببابها مذهولا
خضل البيان ترف عطرا ناعما
وندى وظلا في الهجير ظليلا

حملت بكل الصدق حب بلادها
وجرى بكل دمائها محلولا
نقلت الى الدنيا روائع جلق
والى الثريا شالها المغزولا
رسمت بماء القلب أجمل صورة
عنها تناقلها الزمان جليلا
فكفاك ما أعطت يداك من الندى
حق المجاهد أن ينام قليلا

* * *

عفوا "دمشق" وللأديب همومه
أضحى بظل بيانه مشلولا
أمسى بآهات الضمير مقيدا
وقضى بحر دموعه مغسولا
نضب المداد من اليراع ولم يزل
يبكي الديار خرائبا وطلولا
كبرت مصائبه وأصبح عاجزا
لا يحسن التعليلا والتأويلا
أحداث أمته تمزق قلبه
وتزيد في أوصاله تقتيلا
إن صبها من أصغريه فربما
حصد النتائج أدمعا وعويلا
أو ظل يكتم ما يراه تخاذلا
قتل التخاذل قلبه المكبولا
فيضيع بين الحالتين مشردا
ويظل كل حياته مخبولا

يا شام عهدي بالقريض مسليا
يغني القلوب أغانيا وهديلا
مالي أراه وقد خبت أضواؤه
يقضي بقية عمره مملولا
دخلت عليه الأعجمية عنوة
فبكى الجمال .. وبلل المنديلا
ويل القريض من الحداثة عندما
جاءت تدمر صرحه المأهولا
وتدك أركان الجمال بمجده
وتدق في أعماقه إزميلا
أنصارها حملوا السلاح سخافة
دون الرجوع لما يكون اصيلا
شنوا على الأسلاف أشرس حملة
ضد التراث وقدسوا المنقولا
رجموا عباقرة البيان وزوروا
قيم الجمال ومثلوا تمثيلا
وقضوا على المجد التليد ونكلوا
بالشعر في أوزانه تنكيلا
فليتركوا صنع الجرار لأهلها
فالعلم يرجم جاهلا وكسولا

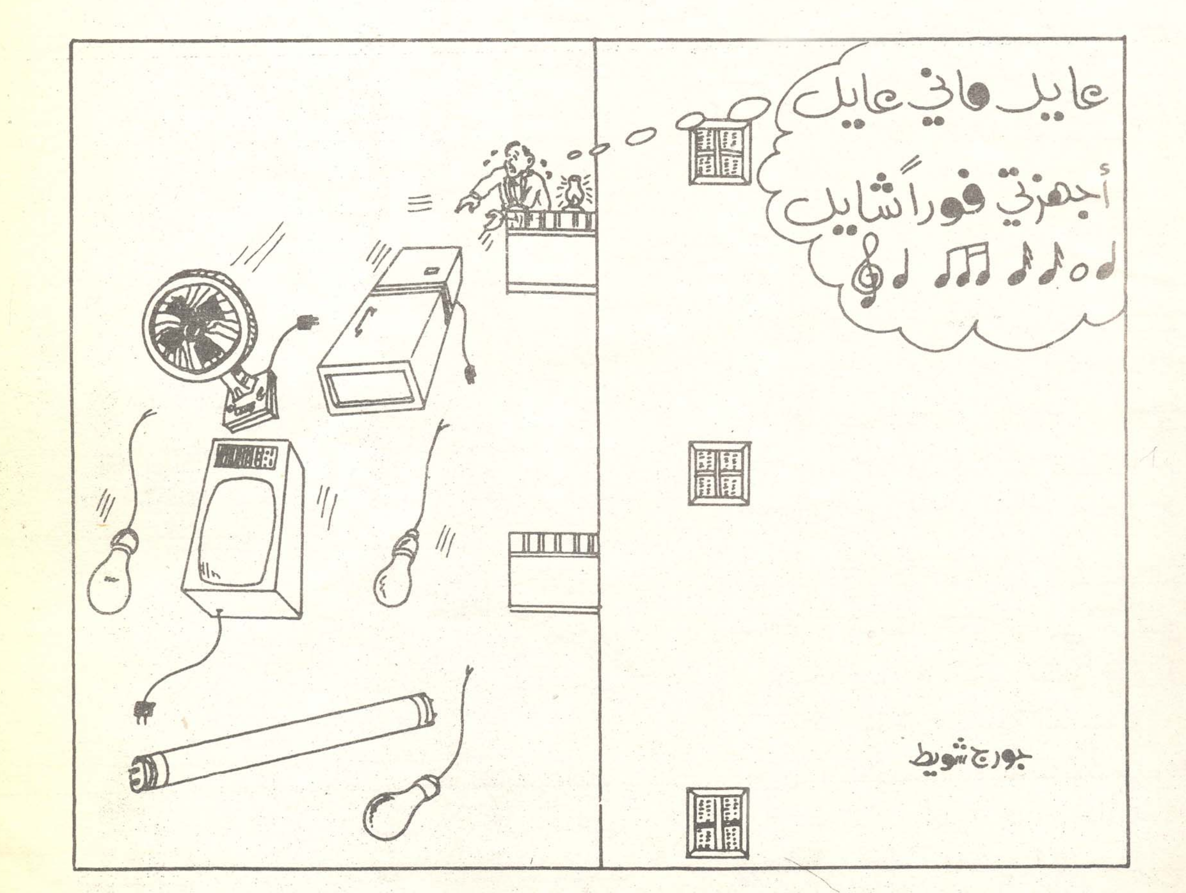
* * *

يا شام حبك في الضمير أصونه
دوما ولست بغيره مشغولا
قسما بمن أعطاك مجدا خالدا

ما زلت يا شام الجمال بثينة
وأنا على مر العصور جميلا

جابر خير بك

دمشق مكتبة الاسد بتاريخ ٢٧-١٠-١٩٩٣
حفل تكريم السيدة إلفة الادلبي



رحلة أدبيّة مع شِعر وشعراء الكويت

بقلم : محمد منذر لطفي

-١-

في عام ١٩٥٧ زرت " الكويت " لأول مرة، وكنت وقتها ضابطا طيارا برتبة " ملازم أول جوي " .. وفي الثانية والعشرين من العمر، وتتالت زياراتي القصيرة لها بمعدل زيارة كل أسبوع حتى عام ١٩٦٠ ، ذلك أني كنت قد أعرت من سلاح الطيران العربي السوري الى شركة الخطوط الجوية السورية التابعة لوزارة الدفاع أيضا لأعمل طيارا مدنيا خلال تلك السنوات الأربع.. بعد ان اتبعت دورة تدريب تحويلية على طائرات الشركة المدنية ، وكانت " الكويت " في ذلك الوقت بلدة صغيرة بدأت تتفتح على الحياة والحضارة العصريتين ، وأعجبت بهذا البلد العربي الشقيق الصغير ، أعجبت بأهله وعاداته الأصيلة ، أعجبت بشواطئه ونخيله ، أعجبت بأرضه وسمائه ، وفوق كل هذا وذاك أعجبت بإحدى فاتناته السمراوات التي تتمتع بعينين عربيتين ولا أحلى ، والتي مازلت أكن لها أسمى الحب وأغلى الذكريات ..

ولم يكن سبب إعجابي بتلك الفاتنة جماله الشرقي وسحرها العربي فحسب .. وإنما ثقافتها وحبها للأدب بعامة ، والشعر بخاصة ، وكانت وقتها تدرس اللغة العربية في جامعة دمشق ، وكنت وقتها أكثر من نظم الشعر البوحي والعاطفي الذي يجسد مرحلة مابعد المراهقة وبداية الشباب ويمثلها خير تمثيل ، وكانت قصيدتي (الهوى الأسمر) الأثيرة لدي في تلك المرحلة .. من أحلى وأغلى أصداء ذلك الاعجاب بتلك الفاتنة ..

-٢-

ما أردت قوله في هذه المقدمة هو أنني لست بعيدا عن أجواء الأدب والأدباء والشعر والشعراء في دولة " الكويت " الشقيقة منذ ذلك الوقت المبكر .. وذلك عن طريق تلك الفاتنة السمراء التي كانت تسافر كثيرا من وإلى بلدها الكويت على متن طائرات الخطوط الجوية السورية بسبب دراستها الجامعية في دمشق كما سبق وذكرت .. ومنذ أشهر صدر عدد (أيار ١٩٩٣) من مجلة الثقافة الشهرية الدمشقية - الذي حمل عنوان (الكويت .. شعر وشعراء) ليوقظ في ذكريات أدبية حلوة كانت غافية ، وذكريات ، وليطلعني أكثر فأكثر على شعراء ذلك البلد

العربي الشقيق ، وعلى نماذج مختارة من أعمالهم الابداعية التي عشت معها وقتا ولا أحلى ·· ووجدت فيها نفسا ولا أندى ·· وشدتني إليها عواطف ولا اسمى ··

فقد ضم هذا العدد تعريفا بـ (١٥) شاعرا " كويتيا " وشاعرة ··مع بعض المختارات الشعرية لهم ، وذلك بعد تقديم موضوعي شيق ومكثف ، كتبه رئيس التحرير الصديق الشاعر والأديب الاستاذ " مدحة عكاش " تلته بطاقة تهنئة بمناسبة عيد ميلاد الأميرة الشاعرة الدكتور "سعاد الصباح" وكانت تلك البطاقة الأدبية رقيقة كصاحبتها الصديقة القاصة والأديبة "وداد قباني" التي تمثل ركنا بارزا من أركان تحرير مجلتي الثقافة الأسبوعية والثقافة الشهرية على حد سواء··

-٣-

أما أسماء الشعراء ·· وعناوين القصائد فهي -وحسب تسلسلها- كالآتي :

- (اللقاء العظيم ثم نكبة الكويت ·· لأحمد السقاف ·
- (خطاب إلى سيدنا نوح ·· لأحمد مشاري العدواني ·
- (من يوميات العاصفة ثم في حضرة الوجد ·· لجنة عبد الرزاق القريني)
- تعويذة في زمن الاحتضار ·· لخليفة الوقيان)
- أنت وأنا ·· لعبد الله الرومي)
- (مزار الحلم ·· للدكتور عبد الله العتيبي)
- (جميلة بوحيرد ·· لعبد الله السنان)
- (ثورة على النفس ·· لعبد الله الأنصاري)
- (هكذا يتحدث فهد العسكر ·· لعلي السبتي)
- (أنت أدرى ، كن صديقي ، سوف نبقى غاضبين ، قصيدة حب ·· للدكتورة سعاد الصباح)
- (الشهيد أحمد قبازود ·· لسليمان الخليفي)
- (مالم يقله المعري ·· لمحمد الفايز العلي)
- (شكوى ثم في ذكرى رحيل الراهب ·· لهاشم السبتي)
- (أنشودة عائد ثم حالة مستعصية ·· ليعقوب السبيعي) ·

وأخيرا :

- (الناي المحروق ·· ليعقوب الرشيد)

فماذا قدم لنا هؤلاء الشعراء والشاعرات في مختاراتهم ؟ وماذا أرادوا أن يقولوا من خلالها للمثقف العربي ·· ؟

-٤-

الواقع يشير إلى أنهم قدموا لنا الشيء الكثير ·· الكثير ·· وأعطونا فكرة موضوعية واضحة عن المسار الشعري الجيد لهذا البلد العربي الشقيق ·· سواء بالنسبة " للشكل " أم بالنسبة " للمضمون " ، فقد كان [illegible] قصائد العدد ينتسب من حيث الشكل الشعري الى مدرسة " الشعر الحديث المعتدل " التي لا تتنكر لماضيها الأصيل في الشعر ·· ولا تغرق في التحرر الحديث منه لدرجة الخروج على الأصول ·· مع وجود قصيدة واحدة من قصائد الدكتورة سعاد الصباح هي " قصيدة حب " أخذت شكل " قصيدة النثر " وكانت بحق قطعة فنية جميلة ، صيغت بأسلوب شعري موشى بألف قوس قزح وقوس ، في الوقت الذي كانت فيه بقية قصائد المدرسة الحديثة تعتمد على " وحدة التفعيلة والوقوف على النهايات وإن تنوعت " ، وتستخدم " الرمز الشعري " ضمن حدود الحاجة " وسيلة لا غاية " ·· ثم تسقطه إسقاطا حضاريا واعيا على واقع حياتي معاش ، لتنفذ من خلاله ، إلى رؤية واضحة للأشياء وذلك من حيث المضمون (الشاعرتان سعاد الصباح وجنة القريني) ، والشعراء:احمد مشاري العدواني وخليفة الوقيان وهاشم

السبتي ويعقوب السبعي وعلي السبتي في مقاطع من قصيدته التي زاوج فيها بين المدرستين الشعريتين الكلاسيكية الأصيلة والحديثة المعتدلة)

بينما كان بعض القصائد الآخر للعدد ينتسب - من حيث الشكل أيضا - إلى المدرسة الشعرية الكلاسيكية الأصيلة التي تمكن الشاعر من الأدوات الفنية للشعر ، وتجعله يحلق في سما شعرية رائعة سواء بقي يدور في فلك هذه المدرسة أو يمم فلك مدرسة الشعر الحديث ، شريطة أن يتمتع بموهبة اصيلة ·· وفنية عالية ·· وحسا شعـريا مرهفا ·· وذوقا أدبيا رفيعا (الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح في قصيدتها " أنت أدرى" والشعراء (أحمد السقاف في قصيدته نكبة الكويت - عبد الله الرومي في قصيدته أنت وأنا - الدكتور عبد الله العتيبي في قصيدته مزار الحلم - عبد الله السنان في قصيدته جميلة بوحيرد - عبد الله الأنصاري في قصيدته ثورة النفس - علي السبتي في قصيدته هكذا يتحدث فهد العسكر - سليمان الخليفي في قصيدته الشهيد أحمد قبازود - محمد الفايز العلي في قصيدته مالم يقله المعري - يعقوب السبيعي في قصيدته أنشودة عائد - يعقوب الرشيد في قصيدته الناي المحروق)

-٥-

وكم كنت أود أن أقدم دراسة أدبية عن كل شاعر أو شاعرة ·· وعن القصيدة أو القصائد التي اختارها لتمثله في هذا العدد ، ولكن مثل هذا العمل يحتاج الى صفحات وصفحات ، ذلك أن جل ماقصدت إليه من خلال هذه الرحلة الأدبية القصيرة مع " شعر وشعراء الكويت " هو تسليط بعض الحزم الضوئية على هذا الجنس الأدبي الجميل في ذلك البلد العربي الشقيق ·· وعلى بعض أعلامه ، ومع ذلك فهذا لا يمنع بحال من الأحوال من تقديم بعض الدراسات الأدبية المستقلة في المستقبل القريب بعض شاعرات وشعراء العدد من خلال مختاراتهم الشعرية المنشورة فيه ·· وبخاصة الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح ، التي تمثل المدارس الشعرية الثلاث(الكلاسيكية الأصيلة والحديثة المعتدلة ·· وقصيدة النثر)·· والشاعرة (جنة القريني) والشعراء (عبد الله الرومي وهاشم السبتي والدكتور عبد الله العتيبي وعلي السبتي وعبد الله الأنصاري ومحمد الفايز العلي ويعقوب السبيعي ويعقوب الرشيد ·· وغيرهم) ، أما الأن فأكتفي بذكر عدد من القصائد الجيدة التي ضمها ذلك العدد مع ذكر أسماء أصحابها وذكر المدارس الشعرية التي تنتمي اليها ·

١- قصائد المدرسة الكلاسيكية التي أعجبتني :

أنت أدرى - للدكتورة سعاد الصباح
نكبة الكويت - للشاعر أحمد السقاف
أنت ·· وأنا - للشاعر عبد الله الرومي
مزار الحلم - للشاعر عبد الله العتيبي
هكذا يتحدث فهد العسكر - للشاعر علي السبتي
ثورة النفس - للشاعر عبد الله الأنصاري
مالم يقله المعري - للشاعر محمد الفايز العلي
الناي المحروق - للشاعر يعقوب الرشيد
نشودة عائد - للشاعر يعقوب السبيعي
جميلة بوحيرد - للشاعر عبد الله السنان
لشهيد أحمد قبازود - للشاعر سليمان الخليفي

٢- قصائد المدرسة الحديثة التي أعجبتني :

- كن صديقي (و) سوف نبقى غاضبين للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح
- في حضرة الوجد للشاعرة جنة عبد الرزاق القريني
- شكوى (و) في ذكرى رحيل الراهب للشاعر هاشم السبتي

- خطاب الى سيدنا نوح للشاعر احمد مشاري العدواني
- تعويذة في زمن الاحتضار للشاعر خليفة الوقياذ
- حالة مستعصية للشاعر يعقوب السبيعي

٣- قصيدة النثر التي أعجبتني :
- قصيدة حب للشاعر الدكتورة سعاد الصباح

-٦-

تلك هي جولة تعريفية سريعة في رحاب شعر وشعراء الكويت خلال الربع الأخير من القرن العشرين ، ومن خلال عدد أيار ١٩٩٣ الذي اصدرته مجلة الثقافة الدمشقية عنهم ٠

ثمة ملاحظة صغيرة أسجلها هنا وأنا أشارف على الوصول الى المحطة الأخيرة في هذه الرحلة ٠٠ وهي غياب وعدم ورود بعض أسماء الشعراء المعروفين والمرموقين في الكويت الشقيق وبخاصة الشاعر خالد سعود الزيد والشا الدكتور سليمان الشطي ٠٠ وغيرهما ٠٠ آملا أن يستدرك ذلك مستقبلا ٠

وإذا كان لي من كلمة أخيرة أنهي بها رحلتي الأدبية هذه ، فهي شكري الجزيل للشاعر والأديب الأستاذ مدحة عكاش رئيس تحرير مجلتي الثقافة الاسبوعية والثقافة الشهرية الدمشقيتين على الجهد الواضح الذي قدمه من خلال هذا العدد للتعريف بشعراء البلد الشقيق (الكويت) وزهرة ياسمين وقرنفلة بيضاء للشاعرة الدكتورة سعاد الصباح صاحبة دار د٠ سعاد الصباح للنشر والتوزيع على اياديها البيض وتعاونها مع دار مجلة الثقافة وتقديمها كل ما من شأنه إغناء هذا العدد بالأسماء الشعرية والمختارات الابداعية ٠٠

محمد منذر لطفي
رئيس اتحاد الكتاب العرب في حماه



كرمى عيونك

شعر : زكي قنصل

وعينيك لا أهوى من الفن غثه
ولا اهتز وجداني لشعر بلا شعر

فإن نختلف قولا وفكرا فإننا
على طرفي دربين في القول والفكر

قرأتك حولا ثم حولا ٠٠ فلم أجد
سوى أنني ضيعت حولين من عمري

قريضك عليق ، وثغرك زهرة
فكيف انتمى العليق للزهر النضر ؟

طلعت على ليلي بهاء ورونقا
فيا ليت هذا الليل ظل بلا فجر

وطرزت ثوبي بالنجوم ، فخلتني
أشاهد في أكنافه ليلة القدر

أقول لمن بالرمز غلف شعره
وأخفى بداجي غيمه طلعة البدر

إذا البحر لم يطفىء غليلي ، فإنني
سأعرض - مهما عظموه - عن البحر

وإن لم يسد الحقل جوعي فإنني
سأعقد آمالي على المهمه القفر

وإن عشيت عيني وغام ضياؤها
فلا فرق عندي بين ليلي والظهر

وإن كان فهم "الرمز" سرا فإنني
سأظهر إعجابي وأضحك في سري
أليس من العار المركب أن أرى
رديفا لغربي تعالى على ظهري؟
تعلم مني الشعر ثم اتبعته
أقدسه من حيث يدري ولا يدري
اقلده في كل شيء ، فإن بكى
بكيت، وإن يضحك تضاحكت من بشر
الملم قوتي من فتات طعامه
وأعرض عن قوتي الغني وعن خمري
وأحسب هذي الترهات حداثة
يخر لها شوقي ويغرى بها "صبري"
كأني لم أطلع ضياء على الملا
وأفتح مآقيهم على الخير والشر
وأنشر تعاليمي هدى وحضارة
وارفع لواء الفكر والأدب البكر
مشاكل أهل الغرب ليست مشاكلي
ففيم هيامي بالألى أرخصوا قدري
عدوي من يغزو مصادر ثروتي
وأخطر من يغزو بثروته فكري

* *

ويا حلوة العينين لا تتبرمي
بجهري ، فإني ما ألفت سوى الجهر
يجاملك القاصي ، ولست بفاعل
لأنك مني كالأريج من الزهر

قتلت بهذا اللحظ قيسك مرة

فلا تقتليه مرتين بلا وزر

جمالك يغنينا ويفرض سحره

فلا تفسدي بالشعر مافيك من سحر

وعطرك في الفردوس لا عطر مثله

فلا تطرحي في البحر قارورة العطر

خذي من شذا خديك نفحة عنبر

لشعرك يصبح يتيه في فم الدهر

إذا كان لا يرضيك رأيي ، فإنني

سأدفنه - كرمى عيونك - في صدري



صفّارة إنذار في رأس غادة السمّان

بقلم: عبد اللطيف الأرناؤوط

تحت عنوان (صفارة إنذار داخل رأسي) أصدرت غادة السمان مجموعة مقالات من بواكير قلمها ، كانت قد نشرتها في الصحف والمجلات، وقد طبع الكتاب منذ صدوره عام ١٩٨٠ الى يومنا هذا ثلاث مرات ، مما يوحي بإقبال القراء على طلبه ، ويؤكد أن الثوابت الفكرية التي انطلقت منها غادة في دنيا الكتابة لم تتبدل كثيراً منذ أن بدأت صداقتها للقلم ، وقد أشارت في مقدمة المجموعة إلى أن المقالات التي جمعتها بدافع الحفاظ على جزء من ماضيها الكتابي ، ظلت تبعث الرضا في نفسها ضمن الإطار الزمني الذي كتبت فيه ، ولذلك لم تعدل في طبعتها الأولى الا لمسات محدودة ، لأن العمل الفني في نظرها كالخطيئة لا يمكن محو إثمها بعد ارتكابها ، والقراء في تقديري يؤيدون ماذهبت اليه من تقويم لعملها ، فهم راضون عما كتبته آنذاك يوم لم تكن تتخطى الثلاثين من العمر ، وثمة مايثبت في هذه المقالات أن غادة لم يتبدل خطها الفكري منذ ذلك الحين، ولا وعيها الانساني ، وإنما الذي تبدل هو أسلوبها الفني ، حيث تخصصت بكتابة القصة ، ومال اسلوبها الى التكثيف والإيجاز ، وصفته الممارسة من عيوب النثرية الصحفية ، فارتقى الى ألق الكتابة الفنية التي تذوب فيها الفوارق بين الشعر والنثر .

وغادة السمان في مجموعتها هذه تلمس الجرح ، وتسمع صوت " صفارة الانذار " التي ارقت مسمعها ما بين عامي ١٩٦٤-١٩٧٤ وجعلت ليلها حسب تعبيرها " حذرا وترقبا " ووسادتها " حزمة من الديناميت " لكن في المجموعة ماهو أهم من ذلك ، فيها صدق التعامل مع الكلمة ، والصراحة في القول ، والجرأة الفكرية التي عرفت بها غادة ، وبها اكتسبت ثقة القارىء العربي ، في زمن شاع فيه المصانعة ، وصارت الكلمة سلعة .

وفي المجموعة أيضا ذلك الأسلوب الدافق الحار ، والظمأ اللاهث وراء البحث عن الحقيقة ، حتى لكأن غادة تعبر عما في ضمائرنا ، وتعكس

أصداء صفارات الانذار التي يثيرها قلقنا النفسي، فتعذب نفوسنا كل يوم غير أننا لا نستطيع أن نفصح عنها ، بل قد ألفناها كما يألف المسافر صوت هدير الطائرة ، أو السائر تحت المطر، هي أفكارنا اليومية وهمومنا تقدمها إلينا (غادة) مجسدة على الورق برؤيا واعية ، واندفاع جميل يبرد غليان المراجل في قلوبنا ويشفي جراحات نفوسنا ٠

وإن كانت الكلمة مشروعا للفعل، فإن كتابات غادة أفعل في نفس القارىء من أي تحليل علمي للظاهرات الاجتماعية والنفسية التي نشكو منها ، ولا نجد سبيلا للخلاص والتحرر من احتلالها البغيض لساحة وجودنا الإنساني ٠

إنها تحاول أن تهزنا من الأعماق مثلما فعل عبد الرحمن الكواكبي من قبل ، حين حاول أن ينبه قومه لليقظة والوعي ، "عسى أن تتمزق خيوط الشباك التي ينشرها الصيادون الماكرون في غابة حياتنا " ٠ فنبصر من خلال الظلام وعلى نور مصباح ديوجين الطريق الى انسانيتنا الحقة ٠

وغادة السمان تنطلق في رسالتها الأدبية من قول (دستويفسكي) المشهور : " كل إنسان مسؤول عن كل شيء ، أمام كل الناس " فالأديب مسؤول عن أي ظلم يرتكب أو أي غلط يقع في أي بقعة من بقاع الأرض ، إنه إذ يتكلم إنما " يغير الواقع " حسب تعبير سارتر ، إنه يطلق أحكام قيمة على مايرى ويشعر ممارسا حرية المبدع ، طالبا أن يملك المتلقون لرسالته هذه الحرية عينها ، فرسالة الأديب يجب أن تفهم على الصعيد الفني ، أنها نداء للحرية ، والمتعة الفنية الناجمة عن هذا التواصل هي الشعور المتبادل بالحرية الانسانية ، فإذا كذب الكاتب أو أخفى أو موه فإنه يخرج من دائرة الأدب الى أفق الدعاوة٠

وغادة السمان حين نكتب بصراحة وجرأة إنما تأخذ على عاتقها توكيد حرية الإنساني في عالم تتهدد فيه الحرية على الدوام ، ولكن الحرية التي تدعو اليها الكاتبة ليست النظرية التي نجدها في كتب الفلسفة ، انها حرية مجتمع إنساني معين ، هو المجتمع العربي مجسدا بما تنقله الكاتبة من أحداث ومشاهدات في مجتمع (بيروت) المصغر ، والذي يمثل علينة مما يجري على الساحة العربية بصورة عامة ٠

في مقالها بعنوان : "نصب للحشاش المجهول" تستغرب غادة بأسلوب فكاهي كيف لا يتعاطى الناس في بلدها المخدرات والمثقفون بصورة خاصة ، إنها تشاهد كل يوم رجال الأمن يطاردون الطلاب وينهالون عليهم بالهراوات ، فكل مايدور حولنا يدفع أي عاقل حساس دفعا للهرب الى رحمة التخدير مادامت آلاف القيود السرية والعلنية تجرم الإنسان العربي حرية الحركة من أجل التبديل ، ثم تنقل لنا صورا من المآسي التي يتم تمثيلها على الساحة العربية ، وهي صور تدفع المواطن الى أن يدفن قهره بالإدمان على تناول الحشيش ومنها " الحروب الخطابية للمسؤولين ، بينما مستنقع الهزيمة ذو الرمال المتحركة يبتلع كل شيء ٠٠ "و" : ان ترى صور سيدات المجتمع يلتهمن أكداس الطعام في الحفلات ثم تجد نفسك مضطرا للهجرة عن الوطن من أجل اللقمة " ٠ " ان تحاول الوصول الى حقك عن طريق القضاء فتضيع بين الشكليات والروتين وتخسر من المال في الحصول على حكم لصالحك أكثر من المال الذي رفعت الدعوى أصلا لتسترده" " أن تمرض فتدخل أحد المستشفيات أو تحتك بأي من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في بلادنا ، فتواجه في كل لحظة مدى الاحتقار لانسانية الانسان في بلادنا " ٠ " ألا تملك ثمن الدوار لطفلك المريض فيموت بين ذراعيك في ردهة المستشفى ، بينما يسافر المرفهون للاستشفاء" ٠ وفي مقال بعنوان ٠ سويسرا الشرق أم فلسطين الثانية) تهاجم غادة بلا هوادة الطبقة

المترفة التي تريد أن تحول مدينة بيروت الى "سويسرا للشرق ، تتلألأ فيها أنوار كازينوهات القمار وميادين سباق الخيل في حين يتحمل أفراد الشعب الفقير غرم استثمار الطبقة المستغلة وتضيف : " إذا أصر بعضهم على الحديث باللغة الفرنسية في سهراتهم أو الكتابة بالعامية فإن ذلك لن ينجيهم من قدر الأمة العربية الذي هو قدرنا جميعا " . وتخشى ان يكون مصير لبنان هو مصير فلسطين المفجع .

وان كان الكاتب في العصور السالفة حارسا لايديولوجية الطبقة الحاكمة فإن غادة السمان تدعو الى حرية سياسية واجتماعية للجميع قائمة على التقدم والعمل ، وتخفيف الجور الذي يقع على الطبقات الدنيا من المجتمع ، وهي بذلك تلتزم التزاما تاما برسالة الأدب ودوره في التغيير الاجتماعي ، ولذلك نراها تندد بالمفارقات التي تشهدها في مجتمعنا العربي ، فالدولة تفرض غرامات كبيرة على سائق التاكسي الذي يتقاضى أكثر من التسعيرة المحددة ، تدعو كسبه سرقة خطيرة في حين تتغاضى عن مواجهة "السارقين الكبار" أصحاب الفضائح الكبيرة ، وهي تقيم مهرجانات للأزهار وتتغاضى عن مهرجانات القرى العطشى في المناطق المحرومة من المياه !!

على أن دعوة الكاتبة للثورة على الواقع الاجتماعي لا يسلمها الى نزعة ثورية يسودها العنف والجبرية فهي تؤمن بالفكر وقدرته على حل التناقضات الاجتماعية ، وتندد بالعنف الذي تشهده بيروت بين الفئات المتطاحنة وترى من مظاهره ان الأجيال تتعلم استعمال يديها أكثر من استعمال فكرها ، إنها عودة الى العصر الحجري لأننا أغرقنا أولادنا في الجهد والسطحية ، حتى أصبح " جيمس بوند "مثلهم الأعلى المستورد، يتقمصون شخصيته متجاوزين الحلول الجماعية الانسانية المشروعة .

كان السندباد العربي من قبل مثلنا في المغامرة والطموح وهو أرقى انسانية وارسخ قيما من البطل الغربي ، وكان العربي عبر التاريخ إنسان القيم ، غير ان ركضنا وراء كل ماهو غربي فتح أعين أبنائنا على تفاهات الحضارة الغربية وقشورها ، فتخلت عن قيمها وإنسانيتها ، وتعاملت بالدم لا بالحوار المقنع البناء .

وفي موضوع إعادة النظر في غنائنا العربي الذي قوامه الندب والنوح تدعو غادة إلى ما يعرف عالميا بأغنية الرفض والاحتجاج الاجتماعي والانساني ، ويوم كتبت هذا في عام ١٩٧٤ لم تكن أغنية الرفض العربية قد ولدت بعد ، وهي تحث الفنانين والأدباء أن يبتدعوا تلك الأغنية شكلا ومضمونا ولحنا ، فثمة علاقة واضحة بين هذه المقومات الفنية .

ولعل المقال الوحيد الذي تنادي فيه غادة بالعنف المسوغ هو تأييدها لحق الثوار الفلسطينيين بتذكير العالم بقضيتهم بشتى الأساليب، في هذا العالم الملوث لا أحد يستطيع أن يدعي البراءة ، ومن يدعي الجهل يعاقب لأنه متواطىء في الجريمة ، لا يحق للسائح الأمريكي أن يتنزه فوق أرض فلسطين متجاهلا مأساة شعبها وما جرى فوق ارضها ، جريمة خطيرة ألا نبالي ببؤس الآخرين ، بل كيف يطلب من الفلسطيني أن يموت بصمت ويطرد من ارضه ، ويدافع وحده عن قيم العدالة في هذا العالم ؟؟ ألسنا جميعا شركاء مصير في دفاعنا عن قيم عالمنا القلقة ؟؟ وإذا كانت عدالة عالمنا تحرقنا بأغصان الزيتون ، فإن عالمنا هذا لا يستحق منا غير عدالة القنبلة ، إنها تضع الإنسان في العالم أمام مسؤوليته ، ولا سيما إنسان الطبقة البرجوازية الذي أفقدته قيم العصر المادية أخلاقيته الانسانية ، وإن هذه الطبقة اليوم تشهد على حد تعبير سارتر تصفية إيديولوجيتها ، لكنها تلعب في ممارساتها الدور ذاته الذي لعبه الملوك ورجال الاقطاع قبل النهضة الصناعية .

ومن أبرز الثوابت الفكرية لدى الكاتبة دفاعها عن الحرية بشتى أشكالها ، فالحرية هي الحاجة الأساسية التي يفتقر إليها الشعب العربي ، حرية الفكر ، وحرية التعبير ، واحترام كرامة الانسان ، وقد تناولت موضوع الحرية في مقالات عدة من الكتاب ٠

تقول في مقال " لمسة حنان " (علينا أن نوقف حربنا المستمرة ، ضد كل مؤسسة فكرية حضارية عربية ، وعلينا أن نتفق على بديهية ساذجة لخصها فولتير بقوله : " قد أكون معارضا لرايك ، لكنني أدافع عن حقلك في أن تقوله حتى الموت ") ٠

وهي تدافع عن الدكتور نديم بيطار في أكثر من مقالة حين هدده بعضهم بالقتل ، ومنع من إلقاء محاضرته بسبب جهره بآرائه ممارسا ابسط حقوقه الانسانية ، أي حق التفكير والتعبير وتضيف غادة : " الأديب الحر هو بوصلة الحاكم لأنه حنجرة المحكوم ٠٠ والحيلولة بينه وبين حريته أمر يلغيه ، ويلقي أهمية شهادته وصوته ، والحاكم هنا كالذي يضع عصابة على عينيه كي لا يرى " وأنه (لا يخشى هذه الحرية الا واحد ٠٠ هو غير الحكيم ، وبعد الحاكم عن الحكمة إنما يقاس ببعده عن حب حرية الرأي) ، حسب تعبير الكاتب نجيب محفوظ ٠

والكاتبة غادة تنتقد بشدة الأنظمة العربية التي تتعرض الى الكتب والمقالات الجريئة بالمصادرة أو القص أو المنع من الدخول ، وعذر السلطات الدائم في توجيهها للفكر هو عدم نضج الشعب العربي ، وخوفها من غوغائيته " انهم يمنعون الفكر باسم الغوغائية ، وفي بلدان العالم يمنعون الغوغائية لحماية الفكر ، ترى ٠٠ كيف يتخلص الناس من الغوغائية مادمنا نمنعهم من قراءة أي شيء سوى التفاهة " ٠٠ والمفكر في بلادنا يكتشف أن هناك مقصا آخر ولد معه ، معدته ، فإما الموت جوعا أو المهادنة والقبول بالتدجين "

ولعل أروع ما كتبته في دفاعها عن حرية الفكر : " نحن نكتب عن النجوم والأشجار والعصافير ، الأشجار مشانق والنجوم فقاعات والعصافير أكاذيب تطلقها الغيوم ، مادام ممنوعا كل من يحاول التحليق في فضاء الحرية ، ممنوع استعمال الأجنحة إلا وفق شارات مرور علقتها قوى خفية في دروب تحليقنا ، وكل من يحاول التحليق - عكس السير - يعاقب بقص أجنحته أو إحراقها " ٠

أما قضية حرية المرأة ، فهي عند غادة السمان من الثوابت الفكرية التي أمست همها الدائم منذ أن مارست الكتابة وطروحاتها في هذا المجال لم تتبدل فهي ترى أن مظاهر حرية المرأة في شرقنا العربي هي مظاهر زائفة ، مادامت لا تملك حق الحياة والحرية في القانون ، أسوة بالرجل ، ولا حق لها بالسفر دون موافقة ولي الأمر ، والمهم لدى نسائنا التمسك بقشور الحرية ومظاهرها الخادعة من حفلات وصور وثياب عصرية ، بل بدا تحررهن في صورة " استرجال" كاذب تمثله تلك الفتاة التي اطلقت النار على أختها فأردتها دفاعا عن " شرف العائلة " فآثرت أن تختار دور الجزار لا الشاة التي تذبح وهي في الحالين ضحية لأنها فقدت أنوثتها واختارت الرجولة في ابشع مفاهيمها، فالمطلوب عند غادة هو تحرير المرأة والرجل معا في مجتمع يستعبدهما ، " أن العلاقة بين المرأة والرجل علاقة جدلية ، فوراء كل امرأة مسجونة رجل مكبوت " والمهم هو جوهر التحرر وليس مظهره ، وغادة السمان هنا لا تلتقي مع المحلل النفسي الفرنسي " بيير داكو " الذي يرى في كتابه "المرأة" ان المرأة الأوربية خضعت لأكذوبة التحرر التي اخترعها لها الرجل ليتحرر من خوفه منها ، فأغرقها بالملابس والعطور ،واسلمها الى قاع التفاهة

باسم التحرر ، ففقدت بذلك أنوثتها ورسالتها في الحياة ، فالكاتبة تعزو تخلف المرأة العربية الى تخلف اجتماعي عام فمعركة المرأة يجب ألا تكون ضد الرجل بل ضد التخلف ، وعليها أن تناضل في إطار نضال الانسان العربي ومعه ضد قوى الاستلاب كلها ٠

ومن ثوابتها الفكرية دفاعها عن الطبقات المستغلة ، فهي تحلل سر إقبال اللبنانيين على حضور فيلم " الفرار" الذي يعرض قصة سرقة أحد البنوك من قبل انسان فقير، لأن مال البنك هو مال حرام ، يعود الى المافيا ، وتعلق قائلة : "إن تعاطف الفقراء مع الفيلم وشماتتهم باللصوص الكبار يمكن أن يتحول الى انفجار، يسمونه في كتب التاريخ " ثورة " أو أسماء أخرى مشابهة " ٠

وتندد بالممارسات الأميركية والغربية التي تتعارض كل يوم ومزاعمهما - الولايات المتحدة والغرب - من أنهما حماة الحق والحرية في العالم ، فهذا - وليام كيلي - الذي قتل ٤٠٠ امرأة وطفل في فيتنام ، وهو أحد أفراد فرقة القتل ، ٠

تسمع أميركا اسطواناته التي يتباهى بكلمات أغانيها بدونكيشونيته البغيضة ، وهذا وزير خارجيتها هنري كسينجر يمنح جائزة نوبل للسلام في حين كانت مئات الطائرات الاميركية تنقل الات الدمار لاسرائيل ، وهذه دور النشر الامريكية تنشر كتبا وأفلاما كاذبة تشوه سمعة العرب بتحريض من اسرائيل كرواية (الوباء العربي) التي نشرتها دار أووردبوكس " الاميركية والبوم "صحارى" من سلسلة " لايف تايم" الذي يسيء الى المسلمين ، وفيلم " الليالي العربية "من اخراج بازوليني ، ومن تلك الأساليب الخادعة ، احتجاج عشاق الطيور الاميركان على إبادة الجيش الأميركي لأسراب من الطيور في حين تصرع الشعوب الآمنة على ساح العالم ولا يتحرك لسان ، وعطف القادة الاميركيين الزائف على أطفال الفيتناميين اليتامى وإظهارهم بمظهر المنقذين في حين أن جنودهم هم الذين جلبوا اليتم والدمار لهم ولأسرهم ٠

وعن تجديد العقل العربي فقد لخصت غادة السمان كل ماورد في كتاب الدكتور عابد الجابري عن تحديث العقل العربي بهذه العبارة " إن عالمنا العربي نجح في " زرع العيون " منذ عصور ، زرع عيون الأجداد في وجوه الحفدة ، لكن الفنان هو عين جديدة ، رافضة ثاقبة متحدية ، وهو بالتالي العدو الأول لعبادة الأوثان ، والمهزلة أن الأرض التي شهدت مولد الديانات التوحيدية ، وكانت هذه الديانات يومها ثورة حقيقية هي وحدها التي ماتزال تتابع عبادة الأوثان " ٠

على أن غادة ترفض أن تتحول الثورة الثقافية العربية الى صنم جديد لا يجوز أن يعترض عليه أو ينال من قدسيته ، وتضيف : "بالنسبة للأديب ، الكمامة كمامة سوداء أكانت من مصنوعات بكين أو لوس أنجلوس او من صنع محلي "

وتتساءل : إلى أي حد استطاع المفكر العربي خلال العامين الماضيين اللذين تليا نكسة حزيران أن يعي حربه مع ذاته من أجل عطاء أفضل ، وحربه مع الأنظمة الحاكمة من أجل انتزاع مزيد من حق من حرية التعبير والتفكير ؟

وتطالب الأديب العربي أن يتخلى عن الازدواجية الفكرية التي اختارها توخيا للسلامة ٠

*

هذه لمحة لا تفي لعرض موضوعات الكتاب واتجاهات الكاتبة فيه ، وما من شك في أن الموضوعات التي طرحتها غادة السمان هي من أخطر المسائل الفكرية التي تبحث اليوم على الصعيد العربي والعالمي ، ولا مراء في أنها تناولتها

بقلم جريء لا يخلو من العنف الذي ترفضه غادة بكل أشكاله ، ذلك أن الحقيقة يمكن طرحها بأساليب شتى ، وعنف قلم غادة يلبس الحقيقة أحيانا فنونا من التهويل والتجسيد والتصوير الفني يسد على القارىء فرصة مناقشة ماتعرضه بل يسلمه لمها الساحر الى القناعة والتسليم تحت تأثير روعة الأسلوب وقوة الحجة وواقعية الفكرة ، وإنما تشير الى أن الأديب الذي يريد أن يقدم أفكاره للناس عليه أن يفكر مليا في طروحاته ، فهو متهم دائما في كل مايكتب وخاصة مع تعدد الايديولوجيات في عصرنا التي تنظر الى الحقائق من زوايا متشعبة حتى ليشعر القارىء بأنه محاصر وطبائع لا يستطيع أن يقتنع ولو وضعت أمامه المسلمات الصادقة ، لأن صعوبة المسائل المطروحة وتشعب الفكر حولها يجعله يبدل قناعاته دائما هو يطلع في كل لحظة على وجهات النظر العديدة التي تقدمها النظريات والفلسفات في أمور شائكة كالتي عالجتها غادة السمان ومنها مفهوم الحرية بصورة عامة وحرية المرأة بصورة خاصة ، ولكن يكفي غادة فخرا أنها تجرأت أن تثير تلك الأمور والمسائل ، وتحفز الناس الى التفكير فيها بعمق ، وأن تعرضها بيسر للناس حتى للذين ليس لهم في الحياة الا لذاذات العيش العابرة وأنه مما يدعو الى الدهشة حقا أن تكون غادة وهي ابنة الثلاثين آنذاك حين كتبت أغلب هذه المقالات في هذا المستوى من الوعي والثقافي وتخطت بهما كثيرا من الأقلام التي غذتها سنوات العمر المديدة بالحنكة والتجربة، وهذا يؤكد ان العبقرية لا عمر لها ، وان الالهام موهبة علوية تهبط على المبدعين ، فإن صقلوها بالثقافة والمطالعة تألقت وأرسلت أنوارها عبر النتاج الأدبي،

والكاتبة غادة السمان أبرز قلم نسائي في وطننا العربي اليوم ، يفرض تقدير القارىء العربي ويثيره ويمتعه ويقنعه .

عبد اللطيف الأرناؤوط

صدر حديثاً

عن دار مجلة الثقافة

زورق بلا شراع
أغان ربيعية

إعداد : علاء الدين إمام

خزاين نابليون في قاع البحيرة ..

سليموفر - روسيا / سانا . قرر عدد من علماء الجيولوجيا الروس القيام بمحاولة جديدة للعثور على كنز نابليون الذي نقل من الكرملين عام / ١٨١٢ / والمحتمل ان يكون قد دفن في اعماق بحيرة صغيرة على طريق / سمولنسك / على بعد / ٣٥٠ / كم غرب / موسكو /

ويذكر ان / نابليون / كان بالقرب من / فيازما / مع جيشه وخمس عشرة عربة تنقل غنيمة مؤلفة من عشرة الى خمسة عشر طنا مؤلفة من مدافع وأوان وفرو وقطع ثمينة من الذهب والفضة وصليب القيصر / ايفان / الكبير وذلك حسب رواية المؤرخ الروسي / الكسندر ميخايلوفسكي دانيلفسكي /

شجار مع الدنيا



شعر: عبد الوهاب الشيخ خليل

حذار فشوك ساحتي احتطابا   يمزق من يد الأنثى الإهابا

وكونك ما خبرت مرار ظلمي   حسبت الكأس ممتلئا شرابا

فأنت عجينة الصلصال عندي   أشكلها بروجا أو قبابا

أكيفها رغاب مغريات   وأملكها شراء واستلابا

وأعجبنها بذوب الشهد حينا   واحيانا بماء الموت صابا

وأشبعها شواظا من حريق   يحيل تمنع الأنثى طلابا

وأنهبها .. أبعثرها رمادا   وأجمعها وألبسها ثيابا

.

أغرك أن تبدد ليل شعري   فوهج الشيب سعرني التهابا

مكانك لو دنوت من الشواطي   رأيت تلاطمي بحرا عبابا

ظننت بأنني أخشى الليالي   تجرد مخلبا عصلا ونابا

فظنك خاب يا دنيا فإني   تعودت العوائق والصعابا

وإني نبعة من عيص شعب   ينافس مرتقى الشمس انتسابا

توارثنا الرجولة عن جدود   غيوث أكفهم تسقي السحابا

فنحن الثائرون على الأعادي   ونحن الجاعلون الموت بابا

ونحن العازفون الحرب لحنا   يذيب الناي أو يشجي الربابا

نمر بها فتشتعل الحنايا   بنار الحق تحرق من تغابى

سلي عنا فرنسا يوم جاءت   تروم مرابع الأهل اغتصابا

اتت بسلاحها نارا وعهرا   تراودنا وترهقنا ضرابا

ولكن الأباة الصيد تأبى   سوى لغة الرصاص لهم جوابا

سقيناهم كؤوس الموت صرفا   كذاك الأسد تفترس الذئابا

وحققنا الجلاء فكان نصرا   لعزتنا وللباغي يبابا

وعدنا للعرين نصوغ عيشا ... لأمتنا كريما مستطابا
على الحرية الحمراء قامت ... دعائمه تعرفنا الصوابا
وترضعنا احترام الفكر دينا ... فنحمله اعتقادا واحتسابا
ونشرب من مناهله القوافي ... فتملأ روحنا شهدا مذابا

•

رنين الشعر هجس في دمانا ... يعاودنا فتقتنص الشهابا
نعاقره فيسكرنا بيانا ... ويشربنا فننبجسه انسكابا
عن الأجداد إرث عبقري ... كماء النهر ما مل انصبابا
يراودنا كخمر الدير يغري ... شيوخ الشرب إذ يغري الشبابا
فننسجه برودا سابغات ... ونرسله ترانيما عذابا
تنزه في فم الغر والمجلي ... عن التزييف يورثه اضطرابا

•

سلي يا صمدر الأحقاد عني ... أهنت العمر أم طعت الرغابا
وهل كنت العزوف عن المعالي ... برغم الفقر يوسعني اكتئابا
وهل كنت الدعي بدون حق ... وهل كنت المسخر والمجابى
أنا الحموي يعرفني صحابي ... كما عرفوا الشجاعة والغلابا
نقشت بصفحة العاصي خيالي ... فهل أفل الخيال ضنى وغابا
فماذا تبتغين اليوم مني ... بقولك شيخ حارتنا تصابى
وما رمت التصابي غير أني ... وجدت بجانب السرج الركابا
ايا دنيا حذار فأنت أنثى ... حذار لساحة الفحل اقترابا
سيذهلك الصهيل إذا تعالى ... ويفضحك الفحيح إذا استجابا
سأعجن طينة الصلصال جهرا ... وأجعلها سراديبا وغابا
وأعبرها على ثقة بخيلي ... فيسحق وطء أرجلها الترابا

•

لقد غذوا غرورك واستباحوا ... مرافق عفة أضحت خرابا
صدقت الثناء الزور جهلا ... وعايشت الطرائد والكلابا
تخلت معارج الهيجا دروبا ... لكل مسافر جهل الإيابا
رافقت الغرور إلى مآل ... يضاعف بؤس واقعه العذابا
لكنت رهينة الأوهام دهرا ... وكنت نتيجة الأفعال عابا

•

مكانك لست بالغة عريني ... فحذر الليث أصعب أن يصابا
ولست بآبه لأذى هلوك ... وإن وقحت هجوما وارتكابا
أيا دنيا الفناء إليك عني ... كرهت القشر واللب المعابا
كرهت تناقض الأفعال عمرا ... كرهت الغش والقول الكذابا

كرهت المدعين النسك زورا	وفتكهم عن الغيلان نابا
رويدك لا تقضي الصمت عذرا	فخلف الصمت فوقت الحرابا
وتحت الشيب يربض لوذعي	تقلب في الدنا صورا فشابا
وإلا سوف يلفحك احتراقي	وتنسين الوقاحة والسبابا
حذار فإن هممت بفعل غدر	سأسقط عنك يا دنيا الحجابا

شعر عبد الوهاب شيخ خليل

لقاء

إيمان عبيد

وصفق القلب فرحا عندما وجد نفسه بين أبناء جلدته ، " اسرة الثقافة " وصفقت معه القلوب النقية عندما التقى بها ‥ وعلاصوت التصفيق بترنيمة متناسقة وتواتر حميم ‥

ها قد وجدت أسرتي الكبيرة بعد طول تيه بين سواد القلوب ودناستها ‥

حدث نفسه دون أن يتمتم ، وبدت ملامح الارتياح والسعادة على أساريره ‥

ها قد اجتمعنا بأخينا الضال في بوادي عتمة النفوس البشرية التي حاولت تلويث شقائه ، عزاؤنا أنه بحث عنا ووجدنا بعد طول عناء‥ عزاؤنا أن تلك القلوب القميئة الدنسة لم تلوثه ولم نستطع نقل العدوى إليه ‥ وما يبدو عليه من خدوش ورضوض ماهي إلا آثار معركة خرج منها منتصرا وستزول عن وجهه عما قريب ·

حدثت القلوب البيضاء النقية بعضها ‥ وتمتمت بشفافها ، وسمعها القلب الذي أنقذ نفسه قبل أن يعدى ويلوث أو يقتل ‥



الدمعة المنسابة على خلاياه كانت تعبيرا عن سعادته بلقاء اسرة النقاء ‥ وهذا عزاؤه الذي يخفف عنه ما تحمله من ألم في معمعة كادت تودي به ·

صفق بهمس ‥ ثم بلطف ‥ ثم بحنو وشاركته قلوب كثيرة حتى علا صوت التصفيق بترنيمة الفرح المتناسقة ‥

فصمت آذان القلوب السوداء لأنها ما اعتادت سماع تصفيق جموع الأنقياء ‥

الشجاعة

ى نصري

هي الشدة عند البأس ، وكلما شد الأسى وزاد البأس وقل حظ الإنسان من الصمود ، وتضعضع أمله في المقاومة ، خاصة إذا لم ير مخرجا أو أملا ، عند ذاك تتحطم العزيمة وتنهار الأعصاب لذلك سمّت العرب الأعصاب " بالاشاجع" لقولهم عاري الأشاجع ٠٠ أي كان اللحم فيها قليلا وقيل هو ظاهر عصبها ٠٠ والأشجع في اليد والرجل العصب)

هكذا ربطت العرب الشجاعة بمتانة الأعصاب ، هذه الأعصاب في الإنسان هي الأدوات التي تسمح لجسده بعدم الانهيار إذا اشتد الأسى والبأس عليها ، وتظل تعمل في الشدة نفس عملهافي الرخاء ٠ وتظل بذلك توفر للجسم توازنه المطلوب لاعطاء الأحكام الصائبة وإبداء السلوك المتوازن في كل الظروف ٠

هكذا لاحظت اللغة في أمر الشجاعة الصلة بين البنية الفيزيولوجية والعصبية المتينة وبين الاقدام ، لذلك تفي بعض العرب عن المرأة هذه الصفة لضعف بنيتها الفيزيولوجية (قال أبو زيد سمعت الكلابيين يقولون رجل شجاع ولا توصف به المرأة) ؟؟ وهذا قد يكون صميما ، لو انتصرت الشجاعة على البنية العصبية للانسان من حيث كمها لا كيفها، إذ يتفوق الرجل في كم بنيته العصبية على المرأة ، ولكن الكيف حسب حجم العضوية حتما يختلف حسب حجم تلقي الصدمة التي قد يتعرض لها الانسان ، لا علاقة له بكم جملته العصبية بل بكيفها ، لذلك قال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن : (وأنه يميد لولا أن الرعب أذهله) فلكي لا يذهل الرعب من لايريد أن تتوتر اشاجعه ، عليه بمرخياتها إما قوة إرادة في زيادة الاشتداد حين الشدة أو تخفيف الوعي بالأمر بتعاطي الخمور لذلك قال حسان بن ثابت وهو المعروف عنه بالجبن :

ونشر بها فتتركنا ملوكا

وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

وقال لقيط بن زرارة :

شربت الخمر حتى خلت اني

أبو قابوس أو عبد الموان

أمشي في بني عدس بن زيد

رخي البال منطلق اللسان

هذا هو التشاجع الذي لا يأتي من الشجاعة الحقة ، وإن كان رديفا لها أحيانا حين البأس ، إذ قلما نجد فارسا أو بطلا ليس للراح مكانا عنده شرط أن لا تكون هي الأساس والأصل في إقدامه لذلك قال علي (رض) : الحليم إلا عند الغضب ، ولا الصديق إلا عند الحاجة ٠

الحلم والعطاء والود والفداء إذا صور مختلفة للشجاعة ، فشدة الاعصاب ليست في تفلتها والشجاعة هنا ليست بالصرعة بل بإمساك النفس حين الغضب ، والكرم والعطاء ثقة بالنفس في قدرتها على الاسترداد فهي شجاعة يتمها الثقة بالله ، أما الفداء فهو القدرة على تقديم الذات للموت في سبيل ٠٠ إنها القدرة الانتحارية التي لا يخلو منها شجاع ، شرط الحزم حتى لا تصير لشجاعة تهورا لذلك قال رجل من الحكماء : إنما لجزع والاشفاق قبل وقوع الأمر ، فإذا وقع ؟؟ فالرضى والتسليم ، ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : (إذا استأثر الله بشيء فاله عنه) بمعنى إسلو عنه لغيره لأن الله تعالى قد يستاثر بما عندنا من تفتح فيض حب لحبيب يحبه مثل ما نفعل ، فإن فعل استأثر به فنحرم منه ، ويتوقف جذعنا ويعود بأسنا كي نصبر حتى نلقاه حين نعود إليه ، لذلك إنا لله وإنا إليه راجعون ٠ وفي هذا الرضى والتسليم ، أو التسليم حتى دون رضى ٠٠

إن حجم مشاعرنا سر لا يعرفه إلا

واضعها ، فهو حين كتب على نفسه تعالى الرحـ
اختبرها بعباده ، وحين كتب على نفسه الأسما
الحسنى من سخاء وعطاء ورحمة وحب ،
يمكنه أن يرى أقاصي حدود هذه الأمور
خلوق دون أن يتجاوزه بها ، فأقصى تفتحا
الوجد عند الصوفية هو في إجتياز عتبه الحـ
الإنساني ، فإن فعلوا استأثر الله بحبهم فأفنا
به٠

لا يمكن لحب أن يحب أكثر من المطلق
فن بلغ بحبه تلك العتبة من الاطلاق استأثر الـ
تعالى بحبه ، وقل نفس الشيء عن السخـ
والجود والرحمة ٠٠ وكذلك الشجاعة ٠٠

الشجاعة إذا ليست مجرد متانة حما
عصبية فيزيولوجية فقط ، بل مزيد من مشا
تصنعها ، وهنا تبرز مشكلة المشاعر الانسانـ
من اين تنبع وإلى أين مصيرها ؟

يبدو أن الوعي الانساني من أكمل أدا
لإدراك المخلوقة ، وكأنه الإناء الذي تكشف
بعض لطيف العقل الكلي الذي يتبدى في
الأشياء فإذا قال الله تعالى : (والله أعلم
يومون) ، فهي بمعنى أن الله تعالى أعلم بالأوعـ
القلبية - بالأدمغة ، التي يعي بها كل فرد
قدرته ، وحسب إنائه الدماغي ، فيدرك على
هذا الوعي الذي يسمح به دماغه مما عند
العقل الكلي المتجلي في كل الأشياء ، لذلك
الكندي : (وكل ممدود فحقيقته في حده
وحد الإنسان دماغه ، ولكل حد الدماغ الإنسـ
العقل الكلي الذي منه يأتي كل وعي لأ
مخلوق من نبات وحيوان ، ولاعقد ... الانسا
٠

الوعي إذا هو الذي
الانساني ، وكلما زاد وعـ
ولكي يزيد الادراك لا
الاعصاب - الاشـ

الضغط عليها ، ومهما كانت هذه الأعصاب متينة فإن زيادة المدركات - اللانهائية طبعا - تنهك هذه الجملة العصبية المحدودة أصلا - في الانسان لذلك قال علماء البيولوجيا أن الحيوانات الفقارية الراقية ذات البنية العصبية الأكثر تعقيدا أكثر احساسا من سواها من الزواحف والرخويات فكلما زد تعقيد الجهاز العصبي ، زاد الاحساس وبالتالي زاد الوعي فالادراك ٠

وزيادة الاحساس تتلازم كذلك مع زيادة الشعور والمشاعر التي تعبر عن الشعور لذلك قال حبيب بن أوس الطائي :

متوقد فيه الزمان وربما
كان الزمان بآخرين بليدا

والذي يتوقد فيه الزمان ، رجل ذو مشاعر مرهفة ، رجل حساس حسب التعبير المعاصر ، فهو إنسان زاد وعيه فاشتدت أشاجعه لاستيعاب هذا الوعي ، فهو من شجعان العقول إذا كانت جملته العصبية متينة ٠

إن زيادة المشاعر تفترض جملة عصبية متينة لإستيعاب أكبر قدر ممكن من وعي العقل الكلي ، وإلا فالانسان معرض للعصاب ٠

إن الفرق بين العصابي - المريض نفسيا - وبين العبقري هنا ، هو متانة الجملة العصبية ، فالعبقري شجاع والعصابي متردد جبان ، وسبب هذا التردد راجع إلى إرتدادات المشاعر المتعاقبة على كل منهما ، وعدم قدرة العصابي على تحملها لنأت بمثال :

يسأل كل واحد منا نفسه عما إذا كان يستطيع أن يتذكر حجم مشاعره في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، أو حتى في مثل هذا اليوم من الشهر الماضي ، أو حتى الاسبوع الماضي ٠٠ الخ ٠٠٠ سيجد أنه غير قادر على تذكر حجم هذه المشاعر ، ولا هو قادر أيضا حتى على قياسها ٠

المشاعر الانسانية حول قلب غير مقاسة ، فلا أهمية لها ما لم تترك خبرة لوعي أفضل للوجود ، لا أهمية لها مالم تترك مهارة تعديل سلوك في مواجهة الاشياء والمستجدات القادمة ٠

إن المشاعر الانسانية بعبارة أخرى قوة ضغط على الاشاجع من أجل وعي أفضل ، إنها بهذا المعنى الأداة المحرضة للوعي ذات الطبيعة اللامقاسة واللانهائية ، تماما مثل هذا الوعي الذي تستدعيه ، تستدعيه من العقل الكلي اللامقاس واللانهائي ليحل في الادراك العقلي المحدود في دماغ الانسان ٠

الشجاعة بهذا المعنى هي في هذه القدرة على ذاك التلقي بشكل لانهائي عبر المشاعر دون الوقوع في إنهيار العصاب ٠

إن الشجاعة هنا ليست مجرد القدرة على تحمل بأس الآخرين ، أو شدة الظروف فقط ، بل هي تحمل بأس الوعي على الذات أيضا ٠

الشجاعة ليست ثبات الجنان بالمعرفة فقط ، بل ثبات الجنان بالقدرة على تلقي العرفان

إن الشجاعة في القلوب كثيرة
ورأيت شجعان العقول قليلا

وللعرفان بأس ، لذلك تظل الشجاعة تقاس في مدى القدرة على تلقي البأس بكل أنواعه وأشكاله ، والاشتداد لا الانهيار حين هذا التلقي ٠

فالذي يتلقى بأس الوعي ويشتد في مواجهة مشاعره التي تعبر عن هذا التلقي هو شجاع العقل ، والذي لا يقدر مختله ٠

شجاعة القلب إذا هي في الشدة حين بأس الظروف والآخرين من الناس ، وشجاعة العقل في الشدة والتماسك حين بأس الوعي ٠

الشدة في مواجهة أي بأس هي الشجاعة

إذا وتأتي هذه الشدة من المشاعر التي تستدعي الوعي وتعمل في الوقت ذاته على تحمل هذا الوعي نفسه .

هذه العملية - ميكانيزم الآلية - ككل يمكن النظر اليها على أنها الارادة ؟ .. ذلك أن الشجاع يستمد من إرادته قدرته على مواجهة البأس ، ايا كان مصدره ، سواء كان بأسا خارجيا أو داخليا ينبع من الانسان ومن وعيه .

إن أصحاب الارادة القوية يتمتعون حتما بالشجاعة يزيدها أو ينقصها مدى تحديهم للاهداف التي يريدون ان يبلغوها من ارادتهم تلك فإذا كانت ارادتهم مستمدة من رغباتهم فإنها لا تكون بحجم ارادتهم اذا استمدت من جماعاتهم وهذه لن تكون بحجم إرادة مستمدة من ارادة أمة لأن الارادة تزيد وتصلب بموافقة ارادات أخرى ، وهذا هو سبب أن التخلق نسبي عند الأمم المختلفة لاتصاله بإرادات شعوبها المختلفة ، بينما الأخلاق عامة عند كل الأمم ، فإذا استبد شعور بأمة عبر هذا الشعور عن إرادتها، وصار وعي هذه الأمة مسخرا لشعورها هذا ، فحين استبد الشعور القوي بالأمة الألمانية في مطلع هذا القرن صارت إرادة هذه الأمة مسخرة لانتزاع مستعمرات الدول الأوربية الأخرى ، وحتى الى استعمارها هي ذاتها أيضا .

نحن إذا أمام إرادة شعب إزاء إرادات شعوب أخرى ، وبهذا بررت الشعوب الأوربية في مطلع هذا القرن جريمة القتل والحرب فيما بينها فعبرت عن تخلقها الذي صنعته مشاعرها ، وبذلك صارت الشجاعة عندهم في سرعة تحقيق هذا التخلق ، لكن الأخلاق بحد ذاتها ظلت بمنأى عن هذا التخلق . إذ لم تقر ولا واحدة من هذه الشعوب المتحاربة الجريمة ، ولم تجعل قوانينها مؤيدة لها .

لقد ظلت الجريمة عملا مدانا وإن كانت كل الشعوب الأوربية تمارسها بحق بعضها في الحربين الأولى والثانية .

التخلق إذا هو تسخير المشاعر الانسانية لارادة ما ، ومثل هذا التسخير يصنع شجعانه ، للرد على بأس شجعان تخلق آخر ، وإن كان كلاهما ، متفق حول الأخلاق .

إن أي تخلق لا يستطيع أن يبرر القتل أو الزنا او السرقة ، إلا إذا كان ضد قتلة أو زناة وسارقين .

وفي عدم قدرة التخلق على خرق الأخلاق يكمن الضمير الانساني .

تلك الهبة من المطلق الى المحدود التي تشبه هبة الدماغ الانساني من العقل الكلي .

فكما أن العقل الانساني هو مستودع وعي العقل المطلق النازل في حد الانسان المحدود ، كذلك تنزل الأخلاق في التخلق وتوقع بالضمير دوما للعودة اليها .

الشجاع هو من يدفع دوما عبر ضميره التخلق نحو الأخلاق ، وعبر عقله الفكر الانساني نحو العقل المطلق .

هؤلاء هم شجعان العقول . لا شجاعة في العقل دون شجاعة في القلب ، لذلك تتسم شجاعة شجاع العقل والقلب بتلك الارادة الصلبة لتي تستمد صلابتها من مطلق إرادة العقل الكلي وأخلاقه ، المزروعتان بنا في الدماغ والضمير ، هكذا تكون إرادة الشجاع كاملة قوية لا تقهر .

أما الارادة المستمرة من الهوى والرغبة فقد تصدر عن اشداء يتمتعون بالشجاعة ، ولكن شجاعتهم قابلة للتغير تغير رغباتهم وأهوائهم ، وبالتالي تصبح شجاعتهم قابلة للمساومة .

الشجاعة المطلقة لا يمكنها أن تنحصر فقط بالشدة حين البأس دون أن يوجه القلب عبر الضمير تلك الشدة من أجل خدمة المطلق .

إن الشجاعة من غير أن تستمد إرادتها

من إرادة المطلق ، تظل أضعف من تلك التي تستمد إرادتها من إرادة المطلق ٠

وإرادة المطلق رغم أنها جاءت في كل تعاليم رسالات السماء ، إلا أنها اساسا وقبل كل شيء هي مزروعة في ضمير الانسان ، وإلا لما توافقت رسائل السماء مع رسائل الضمير حول الأخلاق ، ولما بقي اي تخلق أضعف من كل خلق ولذلك بقي التبدل يمس التخلق بينما الأخلاق ثابتة ثبات الضمير الانساني ٠

بقي هناك مشكلة أخيرة حين التحدث عن الشجاعة كأمر لا يرتبط فقط بالبنية الفيزيولوجية والوراثية للانسان ، ولا يتهوين أي بأس بعقار أو كحول ، ولا بالفداء وحده أو الحلم او الغضب او الكرم او حتى المجازفة ، بل بحجم المشاعر والارادة والوعي وأخيرا الأخلاق ٠ وهذه كلها أمور ماورائية - ميتافيزيائية - بمعنى أنها أمور لا يمكن أن تبرز ملموسة محسوسة ، بل تقف خلف فعل الحواس واستجاباتها للمواقف ٠

إن ارتباط الشجاعة بمتانة الأشاجع ، أي بمتانة الجملة العصبية عند الانسان هو أمر بيولوجي وراثي فهو فيزيقي بحت ٠ ولكن صلة هذه الاشاجع بالدماغ الانساني ، وصلة هذا الأخير بالعقل الكلي ، هو الحلقة التي تنقل الانسان من الطبيعة الفيزيائية العضوية له الى الطبيعة الماورائية الميتافزيائية - وتعبر حلقة النقل هذه عن نفسها بحجم الوعي وبحجم الارادة والمشاعر لدى كل إنسان ويتبدى حجم هذا الوعي والارادة والمشاعر بالفداء والأخلاق والحلم والفضائل ، وهي أمور غير مقاسة حتما ، بل غير قابلة للقياس شأنها شأن كل أمر ما ورائي ، ميتافيزيائي - آخر ، ورغم عدم القدرة على قياس هذه الأمور ، إلا أنه يمكن الشعور بمدى تبديها القوي عند بعض الناس ، ونقصها عند آخرين ، وكذلك في ترابطها مع بعضها في وحدة واحدة مع كل سلوك فالذي يزيد وعيه تقوى إرادته ، فإذا استمر هذه الارادة بعيدا عن هواه نحو إرادة المطلق - الله - وصل الى الاخلاق والحلم وكل الفضائل ، لذلك اعتبر الاغريق ان الحق لا يمكنه أن يقوم مع الجهل وعدم الوعي ، فربطوا الفضيلة بالمعرفة !!

قال سقراط : (فهناك وسيلة واحدة تمكن الانسان من التحرر من كل قلق على مصير روحه - إذا ٠٠٠ كرس حياته للذة اكتساب المعرفة ٠٠. بتزيينه لروحه ٠٠ بالصلاح والشجاعة والكرم والحقيقة ٠٠

إن حجم الوعي والمشاعر والارادة ، أمور يمكن الشعور بها ، وكذلك تبديها في كل سلوك إنساني ، وهي على كونها غير مقاسة إلا أنها تظهر بالصلاح والشجاعة والحقيقة في كل سلوك ، كما يزهر نقصها في الطلاح والجبن والباطل في كل سلوك ايضا ٠ فهي إذا أمورا لا مقاسة شأنها شأن كل أمر ميتافيزيائي ، وهذا طبعا لا يعني انها غير موجودة لأنها فقط غير مقاسة ، إنها لا تتبع " بكم " ولكنها تظهر في كل " كيف " فهي تفتقر الى مقولة الكم الاساسية في كل شيء موجود ، لكنها لا تفتقر الى مقولة الكيف الاساسية أيضا لكل وجود ٠

هذا الاشتراك بين الوجود واللاوجود يعطي أهمية كل صفة فيزيائية وضرورتها ، ويجعل من الصفات الميتافيزيائية - والشجاعة أحدها - عنصرا أساسيا من عناصر ما اختلف على تسميته بالروح الانسانية كوجود غير محدد بكم مقاس ، ومبتدي بكل كيف ٠

فإذا كان الكم والكيف من مقولات الوجود الاساسية ، فإن عدم القدرة على قياس كم ما من المشاعر أو الفضائل او الارادة ، ورد بينهم الشجاعة ، لا يعني نفي صفة الوجود عنها ٠ لذلك أكد افلاطون في السفسطائي قوله : (فنحن نؤكد ان الاجناس تتمازج فيما بينها ، وأن الوجود والغير - موجود فيزيائيا - يتخللان جميع الأجناس)

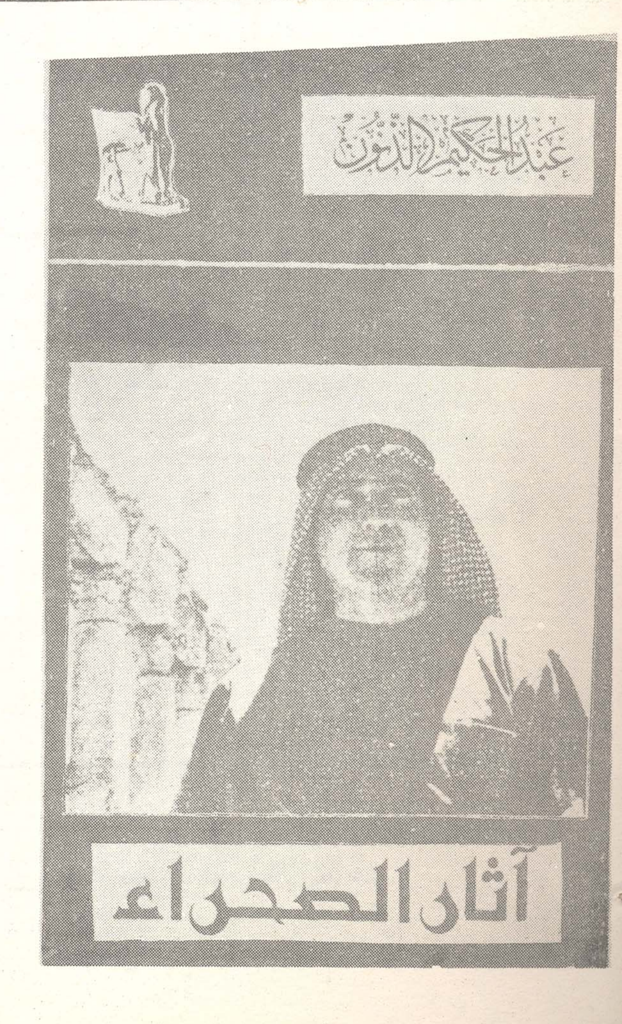
الشجاعة إذا ذات طبيعة ميتافيزيائية لا تكمل ولا تستقيم الا اذا كمل الوعي الميتافيزيائي بكل أبعاده في الانسان ٠

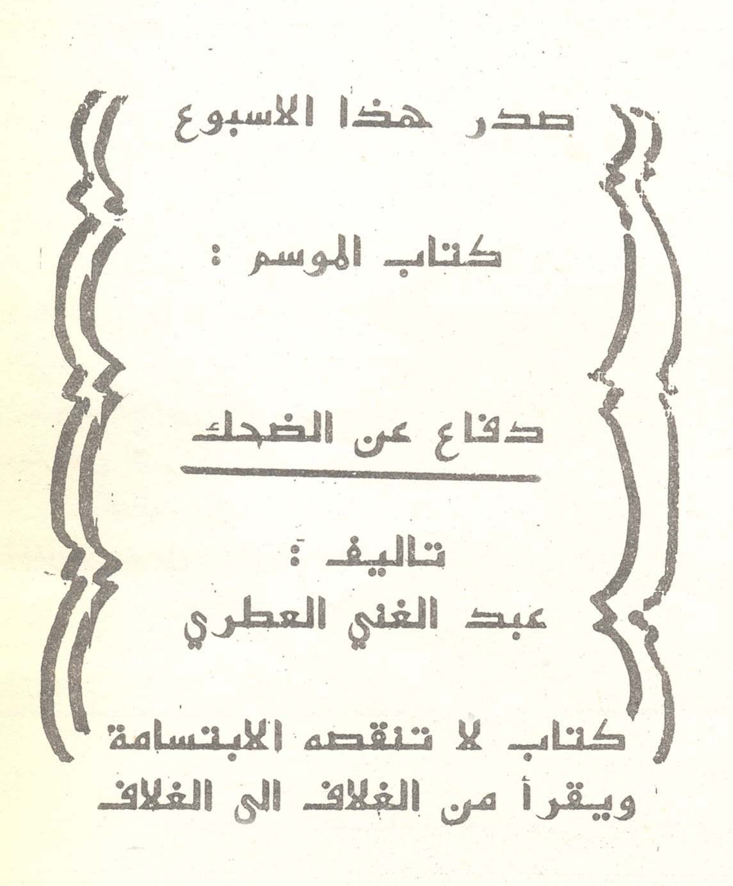
ان الشجاع حكيم يدرك أن صيلات روحه بالجبن أخطر بكثير من هلاك جسده بالاقدام حين البأس ، وهو أمر أقرب الى الخير المطلق من كل جبن يتصل بالخير المحدود للجسد في مداراته ونجاته الانية على حساب كل شعور مضمر بالتخاذل ؟

الشجاع بهذا المعنى رجل ينساق الى ضميره بكل معنى الكلمة ، لأن هذا الضمير - هذا اللامقاس في كل واحد منا - هو الصوت الداخلي الذي يعرفنا على الفضائل ، وهو بناء على هذا يخبرنا عن مدى الشجاعة من الجبن في كل موقف نتخذه ، فحين يتحول جسدنا من جسم فيزيائي مقاس الى لا مقاس بعد الموت لا بد حتما من أن يكون الضمير جزءا اساسيا منه ٠

هنا نجد ان للشجاعة صلة اساسية بخلود الروح ، شأنها شأن كل أمر ميتافيزيائي من طبيعة مطلقة ، فإذا كانت الروح الانسانية خالدة فصفات الاطلاق ستلازمها الى الازل ، ولا أخطر من مكان دني مع الأزل ٠

د ٠ هاني يحيى نصري





ومضات

مزيد سليم الجبلي

صورنا

إذن هو الأسى
يرسم بقايانا ··
على الرمال ·· والمرايا ·· !
فنأتي إلى هذه الدنيا ·· ونذهب
كالسراب ··
علينا أن نحفر صورنا
في القلوب ·· والصخور ··!
لتبقى رغم الخراب ·· !
····

حبيبتي

حزمة ضوء وأمنيات
أغنية الصرصار في الأمسيات
نسغ من برعم الكلمات
أغنيك ·· حتى الثمالة
فيضحك الحجر ·· ويمطر الشجر
ويتراقص الثمر ·· ويزهر الثلج
عناقيد مودة
أحتويك ·· ملء ضلوعي
واسافر للخلود ·· !
····

تناقض

رمادك يحرق اشتعالي
يزهر كل شيء حتى المشعل
مايثيرني ·· حتى النشوة
هذا التناقض المنسجم فيك

حب

يوشوش الليل أغاني الحب
فتنساب عبر الشرايين
وتتخندق في القلب
حتى النهاية
المهم أن تفكري ··
···

عطاء

العطاء الكبير ·· ذات متجددة

يُغضي حيـاء ويُغضى من مهابته
فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

الدكتور

شاكر مصطفى

أديب المؤرخين

بقلم: عزت السيد أحمد

كما زخرت حياته بالمحطات المتنوعة الكثيرة كذلك تنوعت ألوان الورود وأطيابها في حديقة فكره الغناء منعوتة بالمؤرخ الأديب وأديب المؤرخين ومؤرخ الأدباء ، وعلامة المؤرخين ، ومؤرخ المؤرخين ورائد الدراسات الأدبية وأستاذ الاجيال ، ومنصف التاريخ العربي الاسلامي ٠

لاشك في أن الاستاذ شاكر مصطفى يستحق ذلك كله عن جدارة كاملة . ذلك أن له في كل مما سبق السهم الأهم والأوفر نصيبا فهو أديب مجيد ، ومؤرخ رائد للأدب ، وصاحب الجهود الجليلة في إعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي لتخليصه مما ألحق وعلق به من شوائب ودسائس ومشوهات ، محققا في ذلك نقلة نوعية من تدوين الحوادث التاريخية الى علم التاريخ وفلسفته ، وإليه يرجع الفضل في تعريفنا بأدب أمريكا اللاتينية بمنهج متميز وأسلوب مثير للاعجاب ، يقول الدكتور محمد الرميحي في تقديمه لكتاب الدكتور شاكر مصطفى : تاريخنا وبقايا صور ، "ما أمتع أن تقرأ لشاكر مصفطى فتجده كل أولئك جميعا ، ليس ذلك فقط بل وفي أسلوبه من الطلاوة مايذكرك بالماء البارد القراح في يوم قائظ" ٠

بطاقته :

- مؤرخ وأديب وباحث :
- ولد بدمشق سنة ١٩٢١م
- إجازة في الآداب - قسم التاريخ - من جامعة القاهرة -
- دكتوراه في التاريخ من جامعة جنيف - سويسرا
- شارك في الخمسينات بتأسيس دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع ٠
- شارك بتأسيس رابطة الكتاب العرب " نواة اتحاد الكتاب العرب "

- عمل في التدريس الثانوي والجامعي في سوريا
- درس في العديد من الجامعات العربية ·
- عمل ملحقا ثقافيا في السفارة السورية بمصر
- مثل سورية سفيرا عشر سنين في السودان وكولومبيا والبرازيل ·
- ولي منصب وزير الاعلام في سورية عامي ١٩٦٥-١٩٦٦م
- أشرف على مشروعات قومية كثيرى -
مستشار تحرير مجلة الثقافة العالمية التي تصدر في الكويت ·
- عضو هيئة تحرير سلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت
- أمين عام للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "
- له أكثر من عشرين كتابا مطبوعا ، وعشرات الأبحاث والمقالات المنشورة في الدوريات والصحف العربية ·

شخصيته :

اتسم الدكتور شاكر مصطفى أكثر ما اتسم بالنهم على القراءة والمطالعة ، فكان بذلك كأبناء جيله موسوعي الثقافة شاملها ، واسع الأفق، متعدد الجوانب الابداعية ، ولقد لاح نهمه للمعرفة وعشق للقراءة منذ نعومة أظفاره ، فكان وكان له لدى الكتب ثأرا، وهذا ما جر عليه في تلك الأيام كثيرا من المتاعب والهموم تجلت في استنار والده عليه ، هذا النهم واعتباره ذلك ضربا من إضاعة الوقت ، الأمر الذي حدا به الى ضربه كلما لاقاه قارئا مجلة أو نحوها ، ولكن إصراره على تثقيف نفسه ، ومثابرته القراءة والمطالعة هو الذي أوصله الى سدة الفكر وهذه المكانة السامقة بين المؤرخين

ولقد ظلت هذه السمة ملازمة له ، فظل نهما على القراءة ملازما لها ، وها هو ذا يحدثنا بذاته في مقدمة كتابه الأدب في البرازيل ، يقول : " ما وقع بيدي كتاب عنها - البرازيل - إلا قرأته ، ولا مقال في مجلة إلا تدبرته ، أو خبر في صحيفة ، إلاجمعته الى إخوته "·

وقد كان بهذا الاغتناء الفكري أثر واضح في حياة الدكتور شاكر مصفطى وكتاباته فحديثه - كما يصفه عيسى فتوح - ان تكلم أوحاضر وشي منمنم ، لا أجمل ولا أمتع ، ولا أحلى ، تقع كلماته المرنانة في السمع وقع النغم الجميل ، تشدك إليها ، ولا تستطيع أن تنفلت من إسارها مهما حاولت، لا تدعك تند أو تشرد ، لأنها خارجة من القلب ، ومضمخة بالعطر وزهر النارنج (ملحق الاسبوع الأدبي -٥٧)

وهو ذو مواهب متعددة الألوان الابداعية ، يتنقل ببراعة بين التاريخ والشعر والأدب والرسم والخط ، ولذلك لا تخلو مجالسته من الطرافة والمتعة الجليلة والفائدة العظيمة ، بل والدهشة البالغة من ثقافته الموسوعية والشاملة ، وهذا ما يصفه الاستاذ عيسى فتوح بقوله : " فخرجت من زيارته مدهوشا بثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير، ومعجبا بحديثه اللطيف ، وتواضعه الجم ، ودماثة خلقه ، ·· حدثني يومئذ عن الأدب والعلم والفن والتاريخ والأخلاق والسياسة والفكر حديث العارف بكل شيء ، المحيط بكل شيء ، وتساءلت في نفسي كيف استطاع هذا الانسان أن يجني كل هذه الكنوز المعرفية ويختزنها في صدره كما يختزن البحر درره الغوالي ؟ "

وهو الى جانب ذلك يأتزر بتواضع جم جليل ، ويتوشح برهافة الاحساس ، والحرص على أحاسيس الآخرين ، وهذا أمر جد طبيعي ولا سيما [illegible] علمنا أن أستاذنا فنان مبدع حقيقي، يشه[illegible]ه بذلك صوره الجماليه المرصعة في الكتابة التاريخية والأدبية والشعرية ورسوماته ، ولذلك تراه يقول - وكأنه يعبر عن حاله - : " إن هزة في

المشاعر أفضل في تزويق الحياة وتوجيهها من ألف مجلد من حكمة ، وألف برهان من المنطق ٠

وكثيرا ما رأينا الحياة عند بعض العباقرة تستحيل حساسية مرهفة فقط، وشعورا لاهبا حارا يزدري بالعقل ويتركه وحده يبكي عزلته ٠ ومسكنته (في ركاب الشيطان -٩٧)

فيلسوف الأدب :

جلي أن الأدب فن ، ولأن الاستاذ شاكر مصطفى قد جمع في شخصيته سمتي الأديب (الفنان) والعالم فقد ميز لنا بين العملين الأدبي والعلمي وصفات كل من الفن والعلم ، كاشفا عن طبيعة الظواهر العلمية وآليات التعامل مع كل ضرب منها ، ومظهرا سمات الصور الفنية والجمالية وكيفية التعامل مها ، فقال في مقال له

عن العلم والفن - :

" العلم يقسم الوجود وليدرسه جزءا من جزء ، والطبيعة مجرد ظواهر منفصلة ، بعضها يجمع وبعضها يراقب وثالث يدخل المختبر ، وتفلت من بين اصابع العلماء الدقيقة تلك الرابطة التي تربط بين الأجزاء ، وتعطيها معناها ، تفلت الحياة ، ولا يستطيع العالم أن يعود فيرى الكون على أنه وحدة عضوية حية متماسكة ما دام قد مزقه منذ البدء ، لا يستطيع أن يفهم جمال الثلج على القمم أو روعة (كليوباترا) أو موسيقى (فاجنر) ، وأنى للمنظر الثلجي بالجمال وهو ليس أكثر من بلورات من الماء فوق حجارة عارية ، ومن (لكليوباترا) بالروعة وهي ليست أكثر من نسج وأمصال دموية متوازنة توازنا فيزيائيا كيمياويا ، إن الفنان يبدأ بالنظر الى الوجود ككل ولعله من الأصح أن نقول إنه يمنح الظاهرة العابرة دفعة واحدة صيغة الكل ويصل الى المعرفة بالحدس المباشر دون مناقشة للحدود أو غرق في الدقائق "

ولكن ما العلاقة بين الأدب (الفن) والحياة، والانسان. والحرية ، والطبيعية ، والبيئة ، كلها أسئلة تدور في فلك فلسفة الفن والأدب ، وقد أجابنا الدكتور شاكر عنها في أكثر من مكان من كتبه ومقالاته ، فالفن عنده " رمي الى امتداد الوجود وتوسعه ، فهو نقطة انطلاق وهمسة إيحاء ، وهو لهذا تمرد وحرية ولا تنتهي مهمته بانتهاء خلقه ، إنه يظل ناقصا حتى يأتيه متأمل يقوم بعملية ابداع أخرى تتعلق بها على الشكل الذي فهمه به ، إلى ذاته ، فالأثر في الفن نداء لحرية الآخرين ، لأن الانسانية لا تأخذ هذا الطابع الا بالحرية التي تشرق في النفوس ، فالحرية منطلق الحياة وصيغتها الممنوحة من الخالق عز وجل ' (عبد الكريم حبيب - ملحق الاسبوع الادبي ٥٧)

ويؤكد وشاجة العلائق بين الفن والأدب والبيئة الطبيعية والاجتماعية ، مبينا صعوبة فهم أدب أمة ما أو مجتمع ما بعيدا عن البيئة الطبيعية والاجتماعية التي ولد فيها ، فيقول في مقدمة كتابه الأدب في البرازيل : " أردت أن ألقي القارىء في أجواء البرازيل الحارة ، أن أنثرها أمامه ، في غاباتها الوحشية ، وعبر سمائها ذات الزرقة اللازوردية ، وعلى آفاقها في بعدها اللانهائي وبين ناسها الذين تختلط فيهم كل ملامح البشر وكل ألوان البشر ٠ ٠ بدون هذه الأجواء لا تستطيع فهم البرازيل ولا النفوذ الى أدب البرازيل الحار القلق ، أدب البرازيل ، معجون بطينها وصخرها وغاباتها ، ملتصق الالتصاق الرحمي بناسها وعروقها فلا سبيل إليه إلا من خلال هذا الطين والصخر والغابة والناس والعروق ، هنا المدخل " ٠

أما عن العلاقة بين الفنان وفنه ، الأديب وأدبه ، فإنه يرى أن الابداع الاوربي او الفني افصاح عن مكنونات الذات واختلاجات أعماقها ولكنه - ويكاد يتفرد في هذا الرأي الطريف

الأصيل - يرى أن الابداع ضرب من تحرير الذات ، نوع من الانعتاق من إسار الغموض والضبابية التي تعتلج فيها الأفكار والمشاعر ، يقول معبرا عن ذلك في مقال له : (لمن نكتب ؟) "إنني إنما أكتب لأنقل غير الواضح في نفسي الى الوضوح والنور ، لأزيل الغموض والضباب في أعماقي ، إن الزهرة لا تتحدد أوصافها إلا بعد أن تتفتح ، أكتب وأعرف أن الكلمة التي تحررني هي في الوقت نفسه قيدي ، والحروف التي تجمع شتاتي هي نفسها الصدى والحدود في سديمي ، فكل كلمة ايضا تخم ، ولكنكل كلمة أيضا نصر على العدم " ٠

مؤرخ الأدب :

عندما أرخ شاكر مصطفى الأدب ، وتحديدا القصة والرواية في سورية ، لم يكن هناك ذلك النتاج الأدبي اللازم والكافي - في هذا الجنس الأدبي الذي زعم بعض النقاد أنه كان وليدا جديدا - ولذلك كانت خطوته بمثابة المغامرة ، أو الوثبة في المجهول ، لأن أيا من النقاد لم يكن ليفكر بخوض غمار مثل هذا المشروع الكبير في فن لم ينل شهادة الميلاد الرسمية ، ولم يعترف به كجنس أدبي له الحق في الوجود ٠

والحق ان الدكتور شاكر في اعتقادنا لم يكن يفكر على هذا النحو ، لأن له رأيا آخر يختلف عما ذهب اليه كثيرون ، لقد أكد أن القصة والرواية ليستا وليدتين ولا دخيلتين مع تراثنا وأدبنا ، فلنا فننا القصصي المتميز بأسلوبه وخصائصه وسماته التي تجعله الابن الشرعي للأدب العربي ، أما فن القص الذي يطنب النقاد في الحديث عن حداثته وولادته الحديثة في تاريخنا العربي فهو دخيل لأنه ابن الحضارة الغربية المولود على الارض العربية ، ولذلك تراه عندما حاور الدكتور عبد السلام العجيلي في تحكيميه لمسابقة القصة قد رفض قوله إن القصة العربية جديدة وقال له :

" القصة ليست جديدة في الأدب العربي ، والجديد فيها اليوم ، والدخيل ايضا ، هو هذا النهج الغربي في العرض والأداء ، ونحن حقا قد اقتبسناه مع السترة والبنطال ، وأظن الدكتور العجيلي يوافقني على أنه ليس من الضروري أن ينطبق نهج أمة في الانتاج مع نهج أخرى ، وليس عدلا أن نقيس جاحظ القرن التاسع عشر أو حريري القرن العاشر في الحضارة العربية بتشيخوف القرن التاسع عشر وبيرل بوك القرن العشرين في حضارة الغرب "

ولذلك عندما وضع كتابه المهم جدا "محاضرات عن القصة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية ، الذي طبع سنة ١٩٥٨ وضعه عن دراية ووعي لا بدافع حب المغامرة أو الوثبات مجهولة المستقر ، فكان دقيق التحليل منهجي النقد علمي المعالجة ، ولأنه أول كتاب يخص لهذا الغرض استحق صاحبه لقب الريادة في تأريخ الأدب القصصي في سورية ، " ان كتاب محاضرات عن القصة في سورية " كما يرى سمر روحي الفيصل ، يمتاز بدقة تحليلاته ورهافة ذوق مؤلفه ، وقدرته على إطلاق أحكام قيمة ودقيقة ، وإحاطته بالنصوص مضمونا وشكلا ، وجهده في تقديمها ضمن سياقها العام ، وليس هناك كتاب آخر بعد ثلاثين سنة ونيف بلغ ما بلغه كتاب الدكتور شاكر في الميزات السابقة (ملحق الاسبوع الادبي ٥٧)

الاديب :

ان شاكر مصطفى بشهادة لفيف كبير من النقاد والأدباء والمفكرين ، أديب بارع له مكانته المتميزة بين الأدباء ، وله أسلوبه الخاص

البليغ السلس الممتع ، الموشح بالطرائف ، الموشى بالظرائف ، المزركش باللفتات البارعة ، المنمنم بالصور الرائعة ، يصفه نزار قباني : في تقديمه لكتابه " بيني وبينك " المطبوع عام ١٩٥٥ م فيقول : ان شاكر مصطفى - من زاويتي أنا - أول كاهن بشر بنثر فني من طراز لم يعرفه تراب بلادي من سنين ، فأنا الأدب عندي تعبير غير عادي عن مشاعر عادية ، سترى في أدب شاكر طيبا غير عادي " ذلك أنه كما يصفه عيسى فتوح بحق " الأديب " الفنان ، المبدع ، الذي يكتب بدم القلب لا بالحبر "

ولعل من أفضل من قرأ أدب شاكر مصطفى وعبر عنه بصدق ودقة هو الاستاذ ممدوح فاخوري الذي يقول : " فمثل هذا الطيب غير العادي - كما يصفه الشاعر القباني لا ينبعث من زهرة واحدة ، في حديقة كاتبنا ،أو لون واحد من الأزهار ، بل من جملة أزاهير متنوعة ، لكل منها عطرها الذي يميزها ، ولونها الذي تختص به ، وحتى لو كان من زهرة واحدة، فهو نتاج جملة من العناصر فيها ، لكل منها أثره فيما اجتمع لها من عطر ، ومازهاها من لون وبهاء .

ويتابع الاستاذ فاخوري محللا أدب شاكر مصطفى فيقول : " النظرة السطحية الى نثر الدكتور شاكر قد تحرف صاحبها عن وجه الحكم المنصف ، فتصور له ان جمال أسلوبه مردود الى أناقة لفظه ورشاقة تعبيره وحسب ، أي الى مجرد جمال لفظي ، ومع آننا نرى أن أناقة اللفظ شيء آخر غير البهرج الفارغ الذي لا يحمل شيئا ولا يعبر عن شيء ، وغير السراب الذي خدع صاحبه عن حقيقة ماوراءه ، بل هي مرآة صافية تشف عن ذوق رفيع وحس مرهف ، فإننا نرى في الوقت نفسه أن جمال أسلوب الكاتب لا يقتصر على ماذكر ٠ ولو كان كذلك لما ملك صاحبه ساحة النثر وقلده مفاتيحها ، ولكان شأنه شأن أساليب كثيرة مماثلة ، ولم تتعد قيمته قيمة الزهرة الصناعية ، يروقك منها شكل ولون "

إن الملفت في عموم نثر شاكر مصطفى الأدبي هو جمعه البارع الرائع بين جماليتي الشكل والمضمون ، اللفظ والمعنى ، ولا عجب لطالما أنه امتلك ناصية اللغة امتلاك الشاعر المبدع ، وأصر على ضرورة انبثاق التعبير الأدبي من شغاف القلب ، معبرا تعبيرا صادقا عن الأحاسيس التي تختلج في أعماقه ، ناقلا إياها من شكلها التجريدي الغامض ، الضبابي ، الى صورتها الحسية ، الواضحة ، الجلية ، ولذلك لا يسعنا إلا القول مع عيسى فتوح إن " الكلمات في أدب شاكر مصطفى رسوم ، والعبارات لوحات فنية ، وهيَ موسيقى وألحان شجية حينا ، مطربة حينا آخر ، ولا غرابة فشاكر مصطفى رسام وان لم يقم المعارض وينضم الى نقابة الفنون الجميلة ، ولنقف عندهذه اللوحة الساحرة التي صور فيها العالم البرازيلي تصويرا يأخذ بالألباب ويثير كامل الاعجاب ، يجعلك تشعر وكأنه تحلق فعلا في أجواء هذا العالم ، ويأسرك حتى تجد خفقان قلبك شبه صدى لرنيم ألفاظ هذه الصورة وموسيقاها يقول :

" والبرازيل ، عالم ٠٠ بكل مافي العالم من تنوع لا ينتهي ، ومفاجأة تلجم اللسان ، وجمال يورث الدوار ، ودبيب وحش، وجوع ، وجنون ورعب ، وأنهار كالبحار تتدفق في جلال مكين ، وصخور ثليجية تثقب الغيم لتطل على الفضاء المطلق ، وسهول تركض الفرسان شهورا ، في جنباتها الخضراء ، والأفق هو الأفق ، وهنود بلون النحاس وزنوج كالليل او أشد سوادا ، وسمر أخذوا الشمس تحت الاهاب ، وأوربيون أتعبتهم زرقة العيون وشقرة الشعر فهم غرب كالعنز البيضاء في القطيع الاسود "

خواطر من رماد الذكريات

شعر: خضر الحمصي

لا تسألي ضاعت مع الشكوى أمانينا العذاب
شبحا أسير ومهجتي ثكلى وبعينيي الجواب

** .

أنا في ضمير الغيب محمول على كف الليالي
جرح الأسى قلبي فهل أقوى على رد السؤال ؟

** .

ماذا يفيد الصبر والأيام تهرب من يدينا ؟
والدمع أشبعه الدم القاني ندى في مقلتينا

** .

أنا تائه سكرت على آهاتي الحرى نجوم
أسر التنسك مقلتي وحنت على قلبي الهموم

** .

ما للجراح الحمر تؤلمني ويغمرني الظلام ؟
ويلفني جمر الأسى ويموت في ثغري الكلام

** .

هذي جذور النار في صدري تقيم وتستريح
ما عشت لا أنسى جريحا يستغيث به الجريح

** .

لا شيء يرشدني إذا ما همت في دربي وحيدا
أشتاق للماضي لأنسج من مراثيه قصيدا

يا طول غربتنا ، فهل تبقين عن عيني بعيده ؟
فلأنت في جنحي مثلُ الوشم في وجه القصيده

** .

ساءلت عنك الورد والنسرين والزهر النديا
فتململت أكمامها سكرى تغامز مقلتيا

** .

لو استطيع نزعت من وجه الثريا نجمتين !!
وغرست واحدة هنا ما بين أحداقي وعيني

** .

أأظل أحلم والأماني في دمي نشوى وراح ؟
ماذا أقول وقد تشابكت المواجع والجراح ؟

** .

وأراك يا قلبي كما الأيام أزمعت الرحيلا
يكفيك أنك عشت رغم الحزن معطاء نبيلا

** .

لا تبخلي فالحب أجمل ما يغنيه البيان
اترى نعود ونلتقي نجمين يحضننا الزمان ؟

** .

هل يا ترى تدرين أني عن غرامك لا أحيد ؟
هذا اللقاء الحلو لو تدرين أفراح وعيد

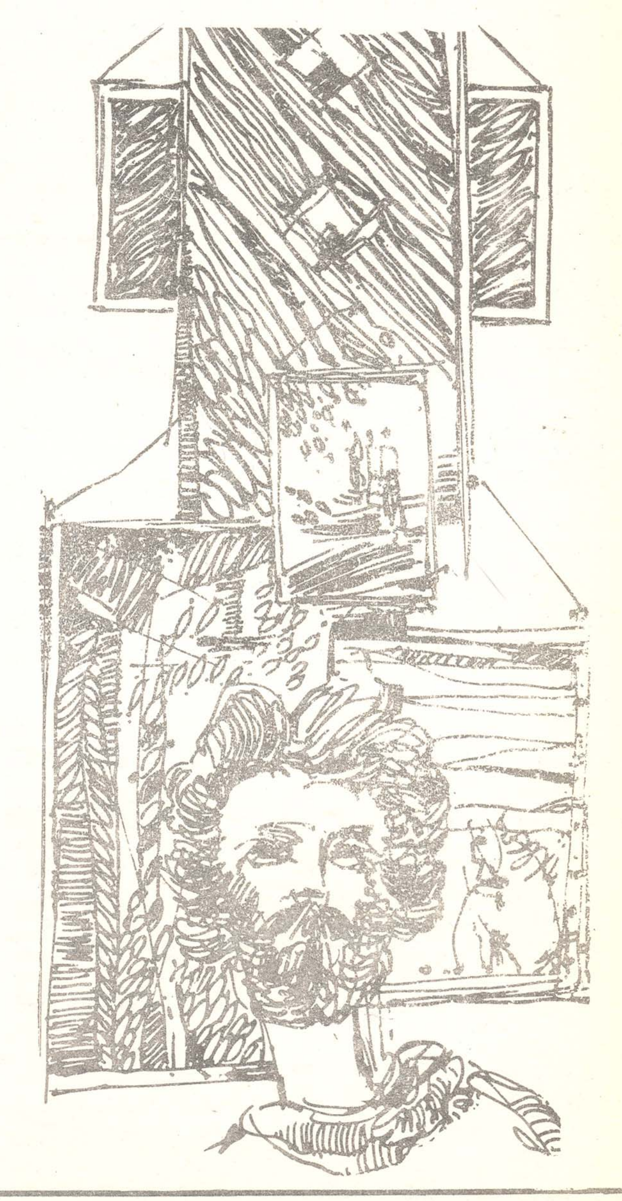
** .

أأقول إنك خنتني وتركتني نهب الشقاء ؟
ومضيت في بحر الخديعة هكذا طبع النساء !!

**

حتى يعود

نقلها عن الفرنسية
عبد الله شحادة اليازجي



أرخى الليل سدوله ورحت أقود سيارتي وسط هذا المطر الكثيف فيما كانت أفكاري تحوم حول أولئك الذين يحتاجون إلي ..

كان البرد شديدا ، وهذا ما جعلني أسرع في العودة الى المنزل لأستريح قرب المدفأة حيث ينتظرني دفء يبعث السعادة في الأوصال فيما تكون تلك التي تقوم على خدمتي قد أشعلت النور وهيأت شايا ساخنا .

أما أنا فكنت أرجو من كل قلبي أن أنعم بأمسية هادئة لا يعكر صفوها أية مفاجأة .

ولكن ما أن وطئت قدماي باب مسكني حتى فاجأتني (فرانسواز) بأن دعوة عاجلة تنتظرني ، فكنت مجبرا على تلبية الدعوة ، ذلك أن مهنتي كطبيب للأرياف أجبرتني على التنازل منذ أمد بعيد عن طلب الهدوء والراحة والحياة الوادعة المستقرة ..

نظرت الى الخادمة مستفسرا فقالت :

- لقد هتفت (كاجلين ساجيت) تستدعيك عدة مرات ..

حاولت عبثا أن أتخيل ماذا يمكن أن يحدث لهذه المرأة .. إذ لم أكن أتوقع أن تستدعيني يوما ، ورحت أفكر فيها بينما كنت أجهز حقيبتي وأستقل سيارتي .

جاءت جاكلين منذ سنتين تقريبا لتعيش في منزل صغير موحش يقع في طرف حديقة مهجورة ، ولم يكن أحد قد تعرف اليها كما لم يتمكن أحد من سبر أغوار ماضيها، غير أنه تردد بين الجوار أن أديبا مشهورا ابتاع لها هذه الدارة واستقرت فيها مع خادمة مسنة ، ولم تكن تغادرها الا لشراء حاجياتها من المدينة ، مما جعل الناس يتساءلون فيما بينهم عن أسباب هذه العزلة التي تيعشها المرأتان وهذا الغموض الذي يكثف حياتهما ، فالفضول صفة يمتاز بها سكان الارياف ..

كنت أعرف كسائر الناس أن لـ (جاكلين ساجيف) عمر يتراوح بين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين عاما ، وأن بشرتها تحاكي حبات القمح بياضا ، يزيد في جمال طلعتها وجه فاتن مشرق .

إنها الآن تدعوني إليها رغم أنها لم تحاول يوما أن تخصني ولو بنظرة عابرة .

أتراها لجأت الي بتستعين بي في قضاء حاجة أم لتبوح لي بالسر الذي يفرض عليها هذه العزلة ؟؟ وشعرت فجأة بالخشية من ان يكون ألم بها مكروه .. هل سأتمكن من مساعدتها ، وتملكتني الرغبة في معرفة اسباب الغموض الذي أحاطت به حياتها ، وأسباب العزلة التي فرضتها على نفسها ، ولماذا تذهب الى باريس مرة كل شهر ولا تتلقى الا القليل من الرسائل ..؟

عندما بلغت باب منزلها تسارعت ضربات قلبي .. ذلك أني كنت واثقا من أن ما سيحدث في هذا المكان سوف تنطبع تفاصيله في ذاكرتي على مر الايام ..

***

وجدت جاكلين مستلقية فوق سريرها داخل غرفة خضراء مسدلة الستائر ، فاقتربت منها بقلب واجف كمراهق يذهب لأول موعد .

قلت لها بعد ان استمعت اليها :

- ليس مابك بالأمر الخطير ، إنه التهاب قصبات خفيف ، فالخريف بارد في هذه المنطقة .

لاحظت قلقا بالغا في عينيها، وعندما حاولت تخفيف جزعها سمعت صوتي يتهدج وكلماتي تخرج بصعوبة ، فتساءلت عما أصابني .

عدت الى البيت متمهلا على غير عادتي كما لو كنت أحاول تأخير موعد بقائي سجينا بين جدران منزلي .

لم أكن أفكر إلا بها ، إنها المرة الأولى التي لازمني فيها التفكير بمريض خلال مهنتي كطبيب في الأرياف ..

رحت اشعر باكتئاب غامض عندما أستيقظ صباحا وأستعيد صورة عيني جاكلين وقد تمكن القلق والحزن منهما رغم أني تمكنت سريعا من شفائها .

عادت البسمة اليها الآن فاضحت أكثر انطلاقا بعد ان تعافت تماما ، ولكنها ظلت قليلة الكلام .

مررت بها يوما قبل الموعد المعتاد فوجدتها نائمة ، وقفتأحدق في قسمات وجهها الدقيق وشفتيها الغنيتين ووجنتيها المخمليتين اللتين تحاكيان وجنات الأطفال ، أحببت التحديق بها ، لماذا .. ؟ لم أتجاسر على سؤال قلبي عن السبب ..

***

سرعان ما غدت زياراتي لجاكلين غير ذي نفع بعد أن شفيت تماما لدرجة أنها نسيت كونها كانت مريضة وأصبح اهتمامي بأمرها لا لزوم له ، وقد اشعرتني هي بذلك ببرودا آلمني .

امتنعت عن الذهاب اليها مدة أسبوع كامل عجزت بعده عن مقاومة رغبتي ، وفي صباح يوم مشمس كنت سارا أمام باب حديقة منزلها القفراء فدخلت ..

- أردت التأكد من أنك تماثلت تماما للشفاء ، ولما كنت مارا بجانب الحديقة سمحت لنفسي بالدخول ..

تراءى لي أن بريقا من الارتياح يرتسم فوق وجهها للحظة قصيرة ما عتم ان عاد الي ما كان عليه من وقار ، وردت علي بقولها :

- انه للطف منك أن تهتم هكذا بمرضاك ..

ثم قدمت لي شرابا باردا كان حديثنا لا معنى له ، أخبرتها انني نظمت الشعر وأنا في مرحلة المراهقة كما أخبرتني أنها مارست التصوير المائي ، وتراءى لي عندما غادرتها أنها اسفت لذهابي ، فقلت :

- لقد شعرت بارتياح وأنا بصحبتك

- عد ثانية إذن ، يبدو ان الحياة التي تمارسها مضنية ..

- فعلا ، ولكني أحب مهنتي ..

وعاد الوقار الى وجهها وهي تقول :

- عد في الاسبوع القادم ، ألا تود ذلك ؟

وافقت طبعا ..

كنت أعلم أنني سأعد الأيام ، كم كان صوتها عذبا ، ونظرتها تنضح بالحنان ، لقد أحببت صوتها ، كما أحببت وجهها لما فيه من براءة الأطفال وما هو عليه من جمال نادر.

تكررت زياراتي لها ، ومع ذلك لم أتمكن من الاطلاع على تخيلته داخل قلبها الصغير وتحرص عليه بضراوة إذ كان الصمت المطبق يلازمها عند أبسط سؤال قد تحتمل الاجابة عليه النذر اليسير من أمور خاصة بماضيها ، مما دعاني يوما الى معاتبتها بقولي :

- ألم تمنحيني ثقتك وصداقتك يا جاكلين ؟

- منحتك صداقتي فقط .

كنت أعلم أنها وضعت لهذه الصداقة حدودا لا تسمح بتخطيها ، إذن فلن أحظى يوما بحبها ، ومع ذلك لم تعد لدي القدرة على كتمان العاطفة التي أشعلتها في قلبي ، فقررت في صد أحد الأيام ان اعترف لها بالحب الذي أيقظته في وبرغبتي في الاستئثار بها .

معه يمر كل ذلك أمامي الآن ، كما لو حدث بالأمس فقط ، كنا نسير بخطى حثيثة فوقه ممرات الحديقة جنبا الى جنب ، بينما كان الرياح تنوح فوق التلال ، ولم يحاول غناء عصفور واحد ان يعكر علينا سحر ذلك السكون .

كنت قريبا جدا منها ، وراح صوتي يتهدج ، وكنت متأكدا من أن الكلمات سوف تخونني لذا أحطتها بذراعي وضممتها الي وقبلتها بحرارة وأنا أهمس باذنها :

- جاكلين : لم أعد أستطيع المقاومة ، فأنا أحبك

دفعتني بعنف وإصرار وصاحت :

- اسكت .. فهذا مستحيل ..

شعرت بصوتها يمزق قلبي كما لو كان نصلة ، وإنسابت الدموع تحرق عيني .. كانت دموع رجل يائس .. يالها من دموع موجعة :

واستطردت بنبرة كلها حنان :

- أندريه !.. سوف أقص عليك كل شيء لأني لا استطيع أن أراك تتألم هكذا ..

وراحت يداها الصغيرتان تداعبان جبيني إنهما في غاية الرقة والنعومة ، ثم طبعت شفتاها قبلة فوقه ، فقلت وقد عيل صبري :

- إذن حدثيني بكل شيء ..

كنا عندما بدأت قصتها نجلس فوق بساط مخملي أمام نار مستعرة ترسل ظلالة حمراء فوق جدران الحجرة البيضاء ..

أبقيت عيني مغمضتين وأنا أستمع الى التي أحببتها بكل جوارحي فكان صوتها الذي أحدث في قلبي شرخا عميقا أغلى علي من أي شيء آخر في الوجود ..

***

بدأت حديثها بقولها :

- كنت في الثامنة من عمري عندما قضى والدي إثر حادث في المصنع الذي كان يعمل فيه ، لا أزال أذكر حتى الآن ما أصابني من رعب عندما أحضروا جسده وقد هشمته الالة ..

كانت والدتي في ذلك الوقت حديثة السن لطيفة فاتنة ، هشة للغاية ، لذلك لا أجد ضرورة أن أصف لك مقدار تعاستها عندما وجدت نفسها فجأة وحيدة مع ابنتها الصغيرة ، فكنت مصدر تسليتها وسعادتها كما كانت سندي الوحيد ، وعندما أصبح عمري سبعة عشر عاما أو أكثر بقليل غدت وهي لا تزال في ذروة شبابها كأنها شقيقة لي ..

رأينا مرة أن نقضي إجازة الصيف في مزرعة جبلية ورثها والدي عن ذويه ، وزعمت والدتي أن الغاية من هذه الرحلة الوقوف على مدى حسن تصرف الوكيل ، وهل يولي الأحراج التابعة لها عناية كافية ..

تساءلت عن الأسباب التي دفعت والدتي الى التحدث عن هذا الأمر بمثل هذا الاندفاع والحماس ، ولكن عندما بلغنا استراحة (آرافيس) كان (بينوا انجير) في استقبالنا بوجهه الأسمر الجذاب وقامته الفارعة الرشيقة ، كما وجدنا بانتظارنا في كل حجرة نارا متوهجة من حطب السنديان إضافة إلى أغصان الريحان تتطاول من الأواني الخزفية التي وزعت هنا وهناك بعناية وذوق .

.

بدأ (بينوا) في الثلاثين من عمره وراحت والدتي تصغي اليه بإعجاب وهو يقدم لها تقريرا عن ممتلكاتها من حقول وغابات وغيرها .. أما أنا فقد سحرني وجه هذا الشاب الذي لم أر أجمل منه في حياتي .

لست أدري لماذا أقلقني إسهاب والدتي في امتداحه والثناء عليه بعد مغادرته حتى إني لم أتمكن اثناء العطلة من اقتلاع ما ساورني من قلق وحذر نحوه ، فكان هذا القلق وهذا الحذر يزدادان رسوخا كلما رايت إعجاب والدتي بخدماته يزداد واهتمامه بها يتعاظم .

تقرر أن اقضي شهر ايلول بكامله في (انكلترا) أنمي خلاله مقدرتي على التحدث بالانكليزية رغم أسفي لبقاء والدتي في هضاب (أرانيس) وحيدة ع (بينوا)

ما أن وطئت قدماي بلاد الانكليز حتى بدأت رسائل والدتي تصلني وهي تسهب فيها بتصوير ماتعانيه من وحشة بعد رحيلي .. وخلافا لما كان مقررا فقد طلبت إلي الإسراع في العودة لقضاء بعض الوقت الى جانبها ..

توقعت أن أجد والدتي شديدة الحزن والكآبة غير أن العكس كان صحيحا فقد وجدتها وقد ازدادت جمالا وإشراقا وتألقا ، ولم تتمكن من كتمان سرها عندما قادتني الى غرفتها فور وصولي واطلعتني على حبها الجارف (لبينوا) وعزمها على الزواج منه .

أذهلني النبأ وتألمت كثيرا ، وتملكني هاجس بأن حادثا مؤسفا وشيك الوقوع .

ثم عقد زواجهما بإحتفال أقيم في الاستراحة ، عدت بعده الى (انكلترا) وقلبي مفعم بالأسى حيث رحت أفتش عن عمل لأتمكن من البقاء بعيد عنهما أطول مدة ممكنة .

عندما عدت في الصيف الثاني وجدت والدتي تنتظر حدثا سعيدا ، كانت لا تزال فتية فأسعدها أن تصبح أما ثانية ، فلم أتمكن من إظهار إستيائي ، ومما زاد الوضع سوءا أن شدة حبها (لبينوا) جعلها تطلق يده في أمور المزرعة كما لو كان مالكها . فكان شديدا مع الشركاء والعاملين فيها على حد سواء .

مكثت شهرا بينهما فكان الحذر والخوف اللذان لازماني دائما يتعاظمان باضطراد ، وكان

لزاما على والدتي أن تكثر من الاستلقاء قبل موعد الولادة مما جعلني في أغلب الأحيان وحيدة مع زوج والدتي . وكانت طريقته في الضغط على يدي تثير في نفسي الرعب ونظراته الي تشعرني بأنني عارية أمامه ، وفي مساء أحد الأيام حاول عناقي فجأة وعندها اكتشفت لماذا كنت أخشاه دائما ..

ولما كنت غير قادرة على الابتعاد عن تلال (آرانيس) لفترات طويلة نظرا لظروف والدتي فقد تدبرت أمري بحيث أتواجد إلى جانبها أقصر وقت ممكن ، ورحت خلال إقامتي بينهما أقوم بنزهات في الجوار مما أتاح لي التعرف الى بعض القرويين وبينهم شباب ظرفاء يعملون في المزارع المجاورة.

وهكذا تعرفت الى (جاك ميتاديه) الذي يعمل في مزرعة تقع على بعد عدة كيلومترات من القرية تعود ملكيتها الى أحد اشقاء والدي ، وقد تخرج (جاك) هذا من معهد زراعي ، ونظرا لكونه من عائلة فقيرة ، فقد ظل يحلم بالهجرة الى إحدى المستعمرات حيث يبتاع أرضا صالحة للزراعة فيعمل على استثمارها لحسابه .

حدثني عن مشاريعه بيد أني لم أكن أصغي لحديثه بمقدار ماكنت مفتونة بزرقة عينيه ، لم أتبين في ذلك الوقت أنني أحببته حبا سوف يجعلني اسيرة له مدى الحياة ..

توقفت (جاكلين) عن الكلام عندما أصبحت الكلمات تخرج بصعوبة من بين شفتيها ، فلم أتجاسر على فتح عيني خشية أن أزعج استرسالها في البوح بسرها الدفين ، بيد أني تمتمت أخيرا :

- إنني مصغ ياعزيزتي .. وتأكدي اني متفهم لحقيقة مشاعرك ..

فعادت الى متابعة سرد ما تبقى من قصتها فقالت :

- كان جاك خجولا .. وكنت أريد أن يكاشفني بحبه ، ولكن من المؤسف اننا لم نكن نملك الشجاعة الكافية للاعتراف بحقيقة ما يشعر به كل منا نحو الآخر ، وفي أحد الأيام اكتشفت أمرا أذهلني : ذلك أن جاك يعمل تحت إمرة نبوا الذي كان يشرف ايضا على إدارة مزرعته ، إذ تناهي الى سمعي مرة صوت (بنوا) وهو يوجه كلاما لاذعا الى صديقي ، فتبينت مقدار ما أكنه من حب نحو هذا الشاب الذي لاذ بصمت مهين أمام سوء معاملة رئيسه .

تكرر هذا المشهد البغيض مرارا ، فآلمني ذلك كثيرا .. لقد أصبحت متأكدة من حبي لجاك وانني اريد له السعادة أكثر مما أريدها لنفسي .

وهنا انحنت (جاكلين) وأمسكت يدي بحنان وقالت :

- أرجو أن تعذرني ، فأنا لا أريدك أن تتألم يا(اندريه) ، وإنما أردت أن تقف على حقيقة مشاعري إذ لا يزال الوقت مناسبا لتتعافى من الحب الذي بدا يترعرع في قلبك ..

كان (جاك) يتألم من عقدة نقص لديه ، فقد كنت الابنة الوحيدة لملاك ثري بينما اكان إبنا لأحد المزارعين الفقراء فشعرت أن هذا التباين أحدث هذه العقدة الخطيرة لديه .

لم تعد حالة والدتي تبعث على الرضى مما دعاها الى البقاء ساعات طويلة مستلقية دون أن تتكلم ، فأصبحنا نعيش تحت وطأة عاصفة مضغوطة ، ما عتم بمقالها أن أفلت ..

كنت متأكدة في تلك الفترة انني لم أجد الراحة الا وأنا الى جانب (جاك) ومع ذلك ظل العذاب يلاحقني :

ففي ظهيرة أحد الأيام كنت أسير في الغابة ، وأفكاري تحو حول (جاك) وإذ بي أفاجأ (ببينوا) مقبلا نحوي ، كان يعدو ، وفجأة أحاطني بذراعيه ، وشدني إليه بعنف لم أتمكن

معه من الصراخ أو طلب النجدة وراح يلتهم شفتي ويتمتم لاهثا :

" أحبك ، وأريد أن تكوني لي بكليتك .. "

عبثا حاولت دفعه عني ، ودارت بيننا معركة ضارية ،وأخيرا تمكنت من طلب النجدة بأعلى صوتي ، ولكن هيهات أن يسمعني إنسان في هذه الغابة الفسيحة المقفرة ووسط تلك الاشجار المتطاولة كقبب الكنائس ، كما عميت عينا (بينوا) عن رؤية دموعي وصحت أذناي عن سماع توسلاتي .

لم أعد أذكر كم دام عراكنا .. وتملكتني الدهشة عندما شعرت بذراعيه تتداعيان فجأة .. ففي تلك اللحظة ظهر(جاك) وتحين اللحظة التي كان فيها (بينوا) غافلا فوثب عليه وقبض على عنقه بكلتي يديه ..

وقفت مشدوهة أنظر إلى عراك ضار ، ولمحت في عيني (بينوا) تصميما على الفتك بغريمه.

وفجأة انزلقت قدم (جاك) وسقط ارضا فانقض عليه (بينوا) وقبض على عنقه وراح يضغط وخلال لحظة خاطفة رأيت وجه (جاك) على بعد خطوة من ساعة الشجرة ، فأسرعت الى التقاطها وصحت محذرة :

- (بنوا) ! دعه وإلا أطلقت النار ..

وقبل أن أتخذ قرارا سمعت صوت الطلق لقد ضغطت على الزناد في غمرة الانفعال وخر (بنوا) صريعا ..

نهض (جاك) مترنحا وتقدم مني متثاقلا، وكانت عيناه هادئتين ، تناول البندقية من يدي دون أن يتكلم ، فمسحها بمنديل ثم وضع فوقها راحته وأصابعه فيما كنت أنظر اليه دون أن أدرك سبب تصرفه ، ثم التفت إلي وقال :

- أنا من قتل (بينوا)

ارتميت فوق صدره وطوقت عنقه مدفوعة بفرح جنوني لانقاذي حياته وبحزن جنوني لأني تأكدت من فقدانه ، ورحت أتوسل إليه يدعني أعترف بأني القاتلة ولكنه قال بإصرار :

- كلا .. يجب أن تفكري بوالدتك وبالطفل الذي سوف يولد ، إذهبي فورا .. سوف أدعي أن (بينوا) هاجمني فأجبرت على الدفاع عن نفسي

وقرأت في عيني (جاك) حبا دفعني الى الارتماء ثانية بين ذراعيه وضمه الى صدري ، وقلت أعاهده :

- سأنتظرك مهما طال غيابك ..

وهكذا ترى يا(اندريه) انني أنتظره في عزلتي ، فالعهد الذي يربطني بهذا التعس هو مفتاح هذا الغموض الذي يحيط بي ..

وتراني لجأت الى الريف كي لا يكون هناك شاهد على تعاستي ، لقد سمح لي مؤلف تربطه بي قرابة أن أعيش هنا .. وأنا أذهب كل شهر لزيارة والدتي في (باريس) لدى ثقيقة صغيرة فاتنة ، ولكن ليس هناك ما يباعد بين أفكاري وبين خطيبي الذي يتألم في سجنه ، سيأتي يوم يعود فيه ، ولذا تراني نقية مخلصة ، انني أستعيد دائما نظرته الشامخة والحزينة فلا تلومني يا(اندريه) بل ساعدني على تحمل آلام الانتظار، وببقائك صديقي وأخي ..

- أخشى يا صغيرتي (جاكلين) أن يكون ماتطلبينه فوق طاقتي ، فأنا إنسان قبل كل شيء ، ومع ذلك يعالج ويشفي ، وإذا ما أطلت غيابي عنك فلن يكون السبب سوى شدة احترامي (لجاك) ووفائك لي ، سأتلم ولكن جزائي سيكون في ذلك اليوم الذي أراك فيه سعيدة الى جانب خطيبك ..

وقد حصلت على هذا الجزاء ، ففي أحد الأيام وفيما أنا عائد من جولتي فوجئت بأجمل اثنين يباشران بناء عشهما كعصفورين سعيدين وفيما كانت الطبيعة فرحة بأشعة الشمس وفيما كان الشعر الأشقر الذي يتوج رأس (جاكلين)

الصغير يلمع في الضياء ، رأيتهما يتناغيان كما لو
لم تباعد بينهما الايام ..

أما أنا .. ذلك الشاهد المتواري الذي
أدمى فؤاده حبه المستحيل .. وجدتني أنظر الى
السماء مباركا تلك السعادة التي كانا يرفلان بها
بعد حرمان طويل .

ترجمة عبد الله شحادة اليازجي



مطلق مخلد الذيابي

بقلم: وداد قباني

أشرعة الشرق أن تحيا نوابغه
تلفهم من ذيول الفقر أكفان
حتى إذا ما قضوا آجالهم وقفت
شعوبهم تتغنى أنهم كانوا

تلك قصتنا مع مبدعينا ومفكرينا وعباقرتنا، ولكن الموقف الآن مختلف تماما ، فأنا اخترت هذه الدراسة لعلم من أعلام المملكة العربية السعودية الذين قضوا نحبهم وهم في قمة عطائهم الفكري والأبداعي، لا من أجل التغني بمآثره ، بل لأني اخترت حياة إنسان لا أعرفه شخصيا ، إيمانا مني بما عرفت.

هذا الانسان ، الفنان ، المبدع ، فارس الحرف والصوت والنغم ، الأديب والشاعر ، والذي هو بحق أحد الأقطاب الأعلام في الأدب والشعر والصحافة والفن ، سمعه الناس وأحبه الجميع من خلال الاذاعة بلغته السليمة وقلمه السيال الذي لا ينضب ، وعرفته الأوساط الفنية باسم (سمير الوادي) .

إنه مطلق بن مخلد بن حبيب الذيابي الرّوقي من قبيلة (عتيبة) وهي من قبائل المملكة العربية السعودية الغنية عن التعريف، ولد في حي الناقعة بمنزل والده بشارع(الشامبسوغ) في مدينة عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٣٤٦هـ الموافق ١٩٢٧ميلادية .

أبوه الشيخ مخلد حبيب الله الذيابي، عمل بالتشريفات الملكية ، لدى الملك عبد العزيز بن الحسين ، وكان من المقربين إليه ، لما يتمتع به من أخلاق كريمة وشخصية قوية، فقد أوكل إليه مهام بادية الأردن لحل الخلافات بين القبائل وتفقد أحوالهم ، وكان خير من قام بذلك ، وقد توفي في مكة المكرمة عام ١٣٩٨هجرية عن عمر يناهز ٨٦ عاما وكان شاعرا وراوية حفظ الكثير من اشعار العرب .

في هذا الجو الارستقراطي على مستوييه المادي والأدبي، نشأ مطلق في كنف والده الشيخ مخلد ووالدته التي تعود إلى أصل سوري فهي من بيت الجزائري العريق في الشام .

التحق في المدرسة وهو في السابعة من عمره ، وواصل تعليمه حتى السنة السادسة الابتدائية ، ثم انقطع عن التعليم والتحق بالجيش الأردني متطوعا عام ١٣٦٠ هجرية الموافق ١٩٤١ميلادية ، وبقي فيه حتى عام ١٣٦٦هجرية الموافق ١٩٤٦ميلادية ، حيث عاد إلى الحياة المدنية والتحق بالبريد الأردني موظفا، وواصل تعليمه وهواياته على والده في قصر الملك عبد الله .

عشق الفن وكان به ميل عارم للأدب، حاول أن يشبع رغباته الفنية والأدبية ، عبر معاناة اجتماعية صعبة، إذ أن الفن غير مقبول اجتماعيا بسبب العادات والتقاليد التي وقفت حائلا بينه وبين ممارسته ، فوالده كان يثور ويغضب كلما رأى في حوزته آلة موسيقية ، ولعل بعض الآلات حطمت على رأسه في كثير من الاحيان ، إلا أن والده لم يحل بينه وبين نزعته الأدبية بل أنه كان يدفعه لتنميتها ، فيصحبه إلى قصر الملك عبد الله ليلقي الشعر بين يديه بأسلوب شيق وأداء جيد، فاعجب به وحرص على تشجيعه وتواجده في مجلسه حتى أصبح راوية للشعر في قصر الملك .

امتلك مطلق حسا شعريا راقيا ، فتعددت مواهبه الفكرية والفنية حيث لفت النظر إليه بمثاليته وحرصه ومواظبته وعطائه ، فما أن عمل فترة قصيرة كوكيل للجوازات والجنسية في مكة المكرمة بعد أن ترك والده عمان إثر وفاة الملك عبد الله، حتى توجه الى وزارة الاعلام حيث عمل في المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر في المملكة العربية السعودية .

**

هو شاعر يذوب الحرف حلاوة بين شفتيه، وموسيقي مرهف الإحساس ، حلق في سماء الفن بصوت ساحر وأداء متميز، وقد أبدعت أنامله أجمل الألحان على العود والكمان، فاستطاع بإتزان نادر أن يجمع بين الفكر والفن والشعر، وحسن الأداء، فعرفته القلوب غراس محبة، ونجح نجاحا منقطع النظير في إذاعة مكة المكرمة ، بجهد دؤوب، أذاب فيه ثقافته الأدبية وفنيته المتميزة، بحنجرة صوتية عذبة، فانطلق إلى عالم الأضواء برصيد كبير من حب الجمهور له .

- قدم الكثير من البرامج الاذاعية الناجحة إضافة إلى نشرات الأخبار كمذيع إخباري، ومن هذه البرامج - (برنامج من البادية) وهو الأول من نوعه في العالم العربي حيث قدم فيه ألوانا من التراث الشعبي والقصائد الشعرية والروايات الإنسانية عن شيم وطباع عربية عريقة .

برنامج (خاطرة) الذي يقتطف خلاله ثمرة من ثمار الفكر اليانعة ويقدمها للمستمع العربي على طبق ملىء ومتنوع بثقافة عريضة وافكار قيمة، يشنف بها آذان السامع أنسا، ويضفي على قلبه مسرة، ويرقى بعقله سموا ورفعة، وكانت ولادة هذا البرنامج في ١٦-١١-١٣٨٦هجرية .

أما في برنامجه (ثمرات الأوراق) - وهو من البرامج الاذاعية الجامعة- فكان يقدم في كل يوم إبتداء من أول رجب ١٣٩٣هجرية واستمر حتى نهاية الدورة الإذاعية التي توفي خلالها عام ١٤٠٢هجرية .

ومن رحاب ثقافته الواسعة انبثق برنامج (رحاب الإيمان) ذلك البرنامج الديني بروحانية صادقة، ونفس طاهرة نقية تستمد العون من الله عز وجل، تلهج بالثناء والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فكان بصوته الوقور الخاشع يسكن أعماق القلوب، فتفيض مآقي السامعين دمعا، وكانت أولى حلقاته في عام ١٤٠٢هجرية واستمر حتى وفاته .

أما برنامجه الأدبي الثقافي فقد كان يقدم فيه دورا من الشعر، وجواهر من الأدب بأسلوب رشيق وصوت جهوري دافىء ، مسجلا بعض المناقشات الفكرية والأخبار الأدبية عن المجامع اللغوية ودور النشر وإصداراتها، إضافة إلى أخبار

الأندية الأدبية وجديد كتبها المطبوعة، وأنشطتها في المملكة العربية السعودية والعالم العربي، في لوحة أدبية معبرة، يتعانق فيها الكتاب والكاتب ، وقد شاركته في هذا البرنامج المذيعة نجوى مؤمنة .

كثرت هذه البرامج حتى شارفت على أربعين برنامجا منها على سبيل العد لا الحصر (ملح وطرائف - صباح الخير - صورمن التاريخ - كلام وأنغام - الموسيقى العالمية وأعلامها - عالم الأدب - مع الشعراء العرب - في رياض الفكر - سهرة الأربعاء - الشعراء يلبون - في رحاب الإيمان - براعم الأدب)

من خلال مسيرته الأدبية والفنية استطاع أن يرسخ أقدامه في الميدانين معا ، فضرب جذوره في أعماق الأرض وانتصب عملاقا بفهم رائع ومتميز للأدب والفن ، فقد رأى في الأدب موقفا من الحياة ، يعرفه بقوله :

" الأديب الحق هو الذي يهوى فنه ويحترمه ويعلم أن أدبه ذو نفع للصالح العام ، يمضي في طريق الحياة دون أن يتأثر بالموانع الخارجية التي ترده عن المضي في هذا الطريق ودون أن ينتظر دوافع خارجية أخرى تشجعه على المضي وتحفزه لمواصلة العمل الأدبي " .

أما الفن فيراه تميزا إنسانيا خاصا بجوهر الفنان يندفع للتعبير عبر المعاناة ، يقول :

" الفنان قبل كل صفة ، إنسان ذو شخصية متميزة بجوهرها وأبعادها وإمكاناتها ، إنسان اختزن تجارب ذاتية كونت شخصيته بفضل سعيه في هذا الوجود بين بيئة ومجتمع وهو إذا يندفع إلى التعبير الفني ، إنما يندفع إلى التعبير عن نفسه وعما يخالجها من ألوان المعاناة والتماعات الخواطر والمشاعر" .

أجل .. وهكذا كان مطلق .. شاعرا رقيقا ، استطاع أن يسكب أرق الألفاظ وأجود المعاني في شعر رصين حلق في سماء الشعر بحساسية مرهفة ، ففي ديوانه "أطياف العذارى" - وهو ديوان شعر مطبوع بالفصحى يقع في ٢٢٥ صفحة من الحجم المتوسط يحتوي ١١٤ قصيدة بخط يده المتميز بالجمال والتشكيل ، قام بطبعه النادي الأدبي الثقافي في جدة عام ١٤٠١هجرية على ورق فاخر بإخراج جيد وإصدار لطيف-، يقول في المقدمة :

" أهدي بكل حب ، قصائدي هذه المتواضعة ، إلى كل من أحب بصدق ، وآثر لنفسه لوعة الحرمان ، ثم يعاود قوله : .. حسبي أنني عرفت الهوى نبضا حيا للروح الشاعرة التي تتوق إلى امتلاك ناصية تعبير افضل وذلك لا يتأتي بالتمني " .

بهذا الحب الذي بلغ أعماق الوجدان ، والذي لم يفارق قلبه وحسه وذاكرته ، يخاطب محبوبته بحس صادق وروح هائمة :

تدر بأنك في الفؤاد نزيله
ولأنت شدو في قرار مسامعي

أما في قصيدته (وداعا عالم الأحزان) يؤكد على معاني الصدق والوفاء التي جبلت عليها نفسه الكريمة :

.. لن تري مني مودة عابث
خان المودة فالوفاء خلالي
لصدق في طبعي وحبك حرزه
فتعال يا أنس الحياة تعالي
هيا بنا فالدهر باسط كفه
طاب الزمان تعطفي بوصالي
أنت الحبيبة ليس غيرك في الدنى
من فاز بين ثم استقر ببالي

.

صدقت .. إنه الفوز العظيم أن يفوز انسان بحب انسان .. بصادق المودة وتعاطف الوصال ، ليستقر المحب والمحبوب وشما لا يبلى مع الزمن .

وديوانه الثاني (غناء الشادي) ضمن مطبوعات النادي الثقافي بجدة ‥ وله ديوان في الشعر النبطي لن أتطرق إليه الآن ‥ لأنني بصدد دراسة شخصية هذا الانسان الأديب، الشاعر والفنان وجوانبها الانسانية .

إضافة الى الشعر له أعمال نثرية كثيرة بعضها قدم في الإذاعة ضمن برامجه الناجحة ، وأعمال أخرى صدرت بمقالات أدبية وصور عن الحياة بأسلوب نثري رشيق ، وخواطر حية ومجموعة من القصائد الدينية تحت عنوان : (ابتهالات) قدم لها الدكتور عبد الله الذامي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

وإذا ما تطرقنا لإبداعاته الفنية ، فرغم أنه كان - رحمه الله - مرهف الحس ، متعلقا بالفن تعلق الغصن بالشجرة ، وذاك حال الفنانين المبدعين حين يجري الفن في عروقهم كالدم ، إلا أنه عمل جاهدا على مراعاة العادات الاجتماعية ، لاسيما أن رغبة والده الشيخ مخلد كانت تمنعه عن سلوك طريق الفن ، وفي هذا الممر العسير كان عليه أن يساير الأمور بكل حكمة وإتزان وحسن تصرف ، فسما برسالته الفنية وأبدع فيها غير ناس حقوق ابيه عليه ، وبهذه الموهبة الرفيعة المستوى المترافقة بسلوكية اجتماعية متزنة ، متفهمة، نهض بمستوى الأغنية السعودية والعربية ، فاشاد بفنه الكثيرون ، وشهد له بالموهبة الفنية عمالقة الفن العربي أمثال الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب ، والموسيقار الدكتور يوسف شوقي وغيرهم، وشدا بألحانه الكثيرون من الفنانين السعوديين والمصريين واللبنانيين والسوريين والتونسيين والخليجيين ، وترفع بفنه فلم يتاجر به، بل كرس جهده وفنه خدمة للفن العربي وإرتقاء به ، وقد بلغت ألحانه حوالي ١٦٠ مقطوعة غنائية ، سواء قدمت بصوته من كلماته وألحانه ، أو ماقدم للاذاعة ، او مقطوعات غنائية ، وقام بأداء ألحانه نخبة من نجوم الغناء في العالم العربي كوديع الصافي وطلال مداح وسعاد محمد وسعد عبد الوهاب وهيام يونس ونجاح سلام وغيرهم ، ومن الصعب احصاء كل تراثه الفني رغم أن مقطوعاته الموسيقية التي قام بتاليفها قد امتازت بالاصالة والجدة والجودة ، وقد بلغت مقطوعاته الموسيقية التي تم العثور عليها حوالي ٣٩ مقطوعة

أحبه الكثير من كبار الشعراء والأعلام في المملكة العربية السعودية ، وقد أثنى عليه الأديب الكبير طاهر زمخشري بقصيدة نقتطف منها :

يا سمير الوادي ‥ نداك نغوم
مزهري عطاءه ‥ الترنيم
شاعري له الموازين أوتار
وفي رجعه ‥ تضيء النجوم

* *

نتساءل أحيانا من هو الباقي الخالد ؟

هل هو الغني صاحب المال الكثير ؟ أم السياسي صاحب المناصب والمراكز ‥ ؟ أم هو الفنان الموهوب ؟ وأين هي شخصية الانسان الموهوب وكيف تتخذ معالمها وقد امتازت بنفس كريمة وقلب رقيق وعقل واسع منفتح .

تلك الاخيرة ، كانت شخصية مطلق الذيابي ، لم يسع وراء مال ، ولم يجر وراء منصب، بل بقي صامدا أمام الميكرفون لأكثر من ثلاثين عاما ، يدوي صوته في الآذان، فذاع صيته ، ووصل الى المغرب العربي ، عبر برامجه الأدبية والثقافية والدينية ، مخلصا لفنه منذ حداثته اليافعة ، فأمتع الملايين بموسيقاه الراقية ، وصوته الحنون ، الدافىء، ينساب عذبا في سكنات الليل ، بحرا يفيض بالفن والمعرفة والفكر والأدب حتى كان يوم الخميس الثالث من صفر ١٤٠٣هجرية

الموافق ١٨ تشرين الثاني ١٩٨٢ميلادية ، في الساعة الثالثة بعد الظهر، حيث ودع الدنيا بما فيها من أهل وأحبة ، ولقي وجه ربه بنفس راضية مطمئنة، ووري جثمانه في مثواه الأخير في اليوم التالي في مكة المكرمة ، تاركا الذكر الطيب والعمل الحسن واربعة أبناء وسبع فتيات ٠

**

نقلب في صفحات حياة مطلق الذيابي ، فتشير إحدى الصفحات الى انتخابه عضوا في مجلس إدارة النادي الأدبي الثقافي بجدة ٠

وحين رحل ٠٠ وتلك سنة الله في عباده ،

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

٠ بقي حيا في قلوب من أحبوه وعرفوه من كبراء أدباء المملكة العربية السعودية ورجالها البارزين ، فهذا الاستاذ أحمد شريف الريف يقول في رثائه :

(٠٠ أجل كم أكره هذه الكلمة ٠٠ وكان الفقيد، كم أمقتها ، كم أزدريها، فرجالنا ، أعز رجالنا الذين يذيبون مهجهم وارواحهم لنا فنا وعطاء ونورا وإغداقا ، يموتون عطشا وجوعا إلى الحنان ، ويتوقون إلى جرعة ماء، فإذا ما ماتوا ظمأ سكبنا حولهم مزنا من دموعنا ، ومزنا من أمطار الثناء، وكأنهم لايستحقون التكريم إلا إذا ماتوا، ولكأننا نشترط لتكريمهم ان يموتوا حتى ينالوا تكريما) ٠

ويستمر في قوله :

(أكرموا رجال الفكر والفن في حياتهم ، ذلك اكرم الف مرة من ألف قصيدة رثاء ٠ قدروا قيمة العقول المضيئة التي تنير الحياة من حولكم وأنقذوهم من العوز والحاجة بغير إذلال لهم واشعروهم بأن الإكرام من حقهم ومن واجبكم ٠٠ فيا ذل أمة لا يستحق رجالها البررة الأخيار التكريم والاكرام، يا ذلها ويالتخلفها الحضاري)

ذلك هو حال الأديب والفنان في شرقنا المتعب ، ألم يقل الشاعر :

يا لحظ الأديب يكرم ميتا
ويلاقي في العيش غما وهما
كان يعلي النداء والناس صم
فأجابوه حين صار أصما

أجل ٠٠

ولكن بعد الرحيل ٠٠ هدير صاخب بأمواج الرثاء تتزاحم وتتلاطم أمواجها، وتتكسر على صخور الموت الذي لا يرحم ، تؤكد على عمق وجود هذا الانسان الفقيد في أفئدة الناس ، بعد أن عاش حياة حافلة مليئة بالعطاء فسكن القلوب بفنه وأدبه ، وهاهي القلوب التي أحبته تشكو بعد رحيله الفراغ الكبير الذي خلفه وامتلأت حزنا ودموع وفاء وندم نذرفها دائما حين نفقد غاليا ، فما عرفنا تكريم الأحياء ، وتلك نقيصة نعيشها كل يوم ٠٠

وتتعالى أصوات الكتاب والشعراء والمفكرين لتبقى صرخة مدوية في ذاكرة الزمن تطالب وتلح على فكرة تكريم العباقرة الأحياء والفنانين والأدباء والشعراء والشرفاء وكل العاملين والساعين لمجد الوطن وشرف الأمة وإنسانية الإنسان وإرتقائه ، فهذا الاستاذ حمود شرف الشنبري يقول في إحدى مقالاته :

(٠٠ إنني أسأل نفسي لمَ لم نفكر يوما أن نكرِّم مطلق الذيابي وهو على قيد الحياة ولم لم نفكر يوما أن نكرم غيره من الرواد وهم على قيد الحياة ؟ ولكن هكذا نحن)٠٠

وهكذا يكون العاشقون للحياة والناس والفكر، يعملون بصمت ودأب دون ضجة، لا يثيرون حولهم الأحداث ولا يصطنعون الانتصارات ٠٠ فهم مشغولون دائما بما هو أعمق

واغني ، بالحب ٠٠ وكذلك كان مطلق الذيابي ، الحب شاغله الشاغل ، وقد وصفه الاستاذ عبد العزيز صيرفي :

(٠٠ نعم الحب ٠٠ كان شغله الشاغل ، كان يحمل قلبا كبيرا شغوفا بحب الجميع ، يوزع حبه على كل من يعرف، لا يعرف الحقد أو الضغينة طريقا إلى قلبه الكبير، كل المواقف الإنسانية يهتز لها قلبه ، فيترجمها وينقلها إلينا عبر شعره ونثره ، فنقرؤها هنا وهناك في صحفنا ومجلاتنا، وعبر الاذاعة) .

عندما نسمع الموسيقى نحلم ونرقص ونغني ، وعندما نقرأ الشعر نتأمل ونحس بالعشق أمواج حياة تتدفق في الشرايين ، وعندما نفكر بالانسان ، نؤمن بالقدرة الرائعة والكلمة البدء التي قالت : كن فيكون ٠ ٠ ولكن حين تجتمع الصفات الثلاث في إنسان واحد " الموسيقى والشعر والنفحة الانسانية العذبة ، فماذا يحدث ؟ ٠٠ تلك الصفات اجتمعت في شخصية مطلق الذيابي ، فلنقرأ رأي الاستاذ هاني فيروزي يقول فيه :

(أتنقل في ابياته من روضة إلى أخرى ، أشم رائحة زنابقه ، وأتفيأ في ظلال رياضه ، أرقص نفسي مع إيقاعات شعره ، وأتخيله عازفا على كل ماذكر في قصائده)

عاش مطلق الذيابي بشفافية الأديب الفنان والشاعر المؤمن حتى في أحلك الظروف وهو يصارع تيار الحياة ، مؤمناً بكل ماتحويه هذه الكلمة بما هو كائن ومقدر حتى كان وضوءه الأخير الذي انتقلت بعده روحه الطيبة الى بارئها

وفي الحين ذاته ينطلق صوت الأستاذ عبد الرحمن العبد الواحد ليقول :

(٠٠ نعم لقد مات علم من أعلام هذا البلد الخير المعطاء، ولكنه ترك آثاره الباقية على مر السنين ممن يحملون مشعله الوضاء ، نعم ٠٠ لقد مات الاسطورة العربي "مطلق الذيابي" ٠٠

بعض الناس ينالون الحب من حبيب أو صديق أو أخ ولكن عندما يجمع الناس جميعا على حب أحد الناس يكون هذا دليلا قاطعا على ميزات نادرة تواجدت في هذا الانسان ، وهذا ماكان في شخصية مطلق الذيابي ، فهذه خنساء عربية أخرى هي الأستاذة فاطمة العلوي ، تتحدث عن "مطلق"ترثيه:

(٠٠ إنه مطلق واحد وانتهى ، ولن يخلفه في ميدانه أحد ، لقد خسره الفن كأكبر رائد من رواده ، وخسره الشعر كفحل من فحول الشعراء المجيدين بحق ، المتمكنين المالكين ناصية الشعر ، وخسره الأدب كفرس رهان فيه ، إنه المصلي يجول فيه ويصول ، ولم يأته بعد المجلي بعد لسباقه ، فهو المكر فيه ولا المفر ، والمقبل فيه لا المدبر راسخ القدم في ميدان الأدب ، ليق له جميع أسلحته ، وأعد له كل عدته ، لبس ترسه ودرعه وحمل رمحه اليراع وصال فيه وجال ، فهو الأديب حقا لامراء في ذلك ٠٠ له القدم والقِدم في الإذاعة فهو المذيع القدير والفصيح البليغ والليق الكيس والحافظ لفظ الحروف لا تعرف له زلة في مجاله ، ولا في اي مجال ، فهو بحق الموسوعة العلمية والثقافية والأدبية والشعرية والإعلامية والنحوية ٠٠ و٠٠ لقد جمع فأوعى من صفات حميدة ومزايا جليلة ، ومواهب متعددة ، قل أن تجتمع في واحد ، فهو العالم الراقي ، العالم السامي لأي علم ، ليس على الله بمستكثر أن يجمع بجمع العالم في واحد ، وله مزايا إنسانية نبيلة جمة لا تحصى ولا تعد فهو الفحل الذي لايجزع أنفه ، وهو الشهم الذي لايطاطأ رأسه ، وهو الليث الذي لا يركب ظهره ، وهو الأغر الذي لايندى جبينه ، هو الخير كل الخير ، والطيب كل الطيب والشريف كل الشرف والفضل ، والعزة والأنفة

والعفاف والفضيلة والنزاهة وطيب العنصر ، هو البحر في أحشائه الدر كامن ، فأسألوا من يعرفه عن ثمراته ، انه ينبوع الفضائل وفيض المحاسن ومعين العزة والكبرياء في الحق وفي الشرف ، الكبرياء عن الخزي وعن المزريات لا الكبرياء عن بطل الحق وغمط الناس ‥ فليرحمه الله) ٠

**

مسلم جاد ما عرف الاسلام مجرد شعائر وعبادات رغم قيامه بها ، بل عرف الاسلام مجدا وطموحا حضاريا ارتقت به الأمة العربية حتى وصلت الى الصين شرقا، والأندلس غربا ‥ مسلم يرى الاسلام الحمى والملاذ ، والقوة والعز ٠ فأعطى للاسلام أبعادا قومية برزت من خلال شعره ‥ يقول :

حمانا ديننا الأسمى ونور الحق لا يخبو
به أسلافنا عزوا وألف بينهم حب
فما هانوا وما زالوا ومرقى حصنهم صعب
إلى أن جاء من أودى بروح الدين فانكبوا
وأمسى جمعهم شتى وفرق شملهم خطب
وكان الدرب يجمعهم فأقفر منهم الدرب
٠

وأستاذ كبير وأديب عريق يطلق عليه صفات لا تطلق إلا على الفطاحل من الشعراء والأدباء ‥ إنه عبد اللطيف الغادي يقول :

(لقد شاءت إرادة الله ولا راد لقضائه أن تخطف يد المنون أحد أقطاب الاعلام والأدب والشعر والصحافة والفن الذي كله عطاء يتجدد وكله تجلية ولغة عربية فصحى في الأداء الإذاعي والقلم الذي لا ينضب في كتابة الصحافة والأدب والقلب المتدفق شعرا، الأستاذ الكبير مطلق الذيابي الملقب "سمير الوادي" ٠

أجل هكذا تحدثوا عنه ‥ وهكذا عرفوه ‥ ترى لو سلكنا دربا إليه والتقينا به وتحاورنا معه ، وسألناه وطلبنا منه أن يجيب ،كيف يكون ‥ ؟ وماذا يقول ؟ لنحاول معه :

‥

* من أنت يا مطلق ؟

- ينتهي نسبي في عدنان ، وأنا من قبيلة عتيبة التي تنتمي لهوزان ، وهوزان وقريش لحمة واحدة ٠

- مولود في بلاد الشام بعد ان هاجر أبي مع الأشراف

- ارتباط آل الذيابي بالروقي هو أن آل الذيابي أو الذيبه فخذ في عشيرة الروقة ، والروقة بطن من عتيبه ، وعتيبة يكونها بطنان ٠

* كيف تبدأ نهارك يا أستاذ مطلق ؟

- أبدأ مع الصباح بصلاة الفجر ٠

* وكيف تقضي وقتك بعد انتهاء العمل ؟

• معظم وقتي أقضيه في المطالعة والكتابة وقراءة الصحف ، وسماع الموسيقى ، ولأولادي أخصص وقتا للاجتماع بهم وسماع ماعندهم ، وحياتي غاية في البساطة ٠

* ومتى تكتب الشعر ؟

- الشعر يطلب أن يكتب عندما تأتي لحظة الالهام ، يواتيني جيده حسب إحساسي به في السحر ٠

* وما هي أول قصيدة لك ؟

- أول قصيدة لي كانت :

لما عرفت الشعر زاد تشوقي
والشعر لا هذر ولا إكثار
٠

* ما أحب الاسماء إليك ؟

- أسماء الله الحسنى ٠

* ما مثلك الأعلى ؟

- اثنان ‥ في كتاب الله (الله نورالسموات

والأرض) وفي الحديث (الناس سواسية كأسنان المشط ، لافضل لعربي على أعجمي ، ولا لأسود على أبيض ٠٠ إلى آخر الحديث إلا بالتقوى)

* هل تأثرت بأحد من الشعراء العرب ؟

- الشعراء الذين أحببتهم ولا أقول الذين تأثرت بهم ، طرفة بن العبد ٠ حسان بن ثابت ٠ زهير ابن أبي سلمى ٠ المتنبي ٠ أبو تمام ٠ جرير والفرزدق ٠ ابن زيدون ٠ وابن خفاجة الأندلسي ٠ ومن المحدثين أحببت أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ومحمود سامي البارودي والشاعر محمد مهدي الجواهري وجميل صدقي الزهاوي ٠ ومن شعرائنا محمد حسن فقي وغازي القصيبي ٠

* وماذا عن شعراء سوريا ؟ هل نسيتهم يا أستاذ مطلق ؟

- لا لم أنس شعراء سوريا ٠٠ أحببت عمر أبو ريشة وبدوي الجبل ٠

* الحركة الأدبية الحديثة ٠٠ هل تحدثنا عنها قليلا ؟

- في رأيي أن الحركة الأدبية منذ مطلع القرن وقبله بقليل كانت أفضل من الموجة الحديثة ، فطه حسين والعقاد والمازني وزكي مبارك وغيرهم من فرسان الأدب السابقين كانوا اصحاب فكرة وأسلوب ، وأصحاب تركيز في منهج الأدب وقد خدموا اللغة وقدموا موضوعات هامة وبإختصار فإن الأدب بوجودهم ارتقى مستوى رفيعا، ومن بداية منتصف هذا القرن راجت بضاعة الشعر الحر والأفكار المتطرفة وهبط مستوى الأدب في معظم أنحاء الوطن العربي ٠

* هل من إنسان تأثرت به دينيا وأخلاقيا واجتماعيا وأدبيا وفنيا ؟

- الانسان الذي تأثرت به والدي رحمه الله ، فهو أستاذي الذي رباني على ما قوم حياتي ، كان يفرض علي قراءة كتب الأدب والدين والشعر وأنا صغير ، وكان يخاصمني لو أني غفلت عن تأدية لصلاة ، وقد علمني الفروسية وركوب الخيل كما أمر الرسول العظيم ٠

من هو الانسان الذي يستحق منك الوفاء ؟

- الانسان الذي يستحق مني الوفاء هو الانسان الذي اذكر له معروفا أو صنيعا حسنا ، وفي طليعة الناس الذين يستحقون الوفاء مني والديّ رحمهما الله ٠

* عرف لي كلمة " صديق " من فضلك ؟

الصديق في نظري هو الذي لا يمكن أن يزيف صداقته أو يفكر مجرد تفكير في أن يكدر صفاء هذه الصداقة، يكون في اليسر والعسر صاحب موقف متعاطف لا يتأثر بالظروف ، يلتزم بالمشاركة الانسانية ، والعاطفية حيال الصديق ٠

* أستاذ مطلق ٠ حدثني عن ثلاثة : شيء تلتزم به ، وشيء تحب ألا تفقده ، وشيء تهتم به ؟

- الشيء الذي أحب أن ألتزم به هو كل ما يجعلني قرير العين به إذا أديته على أكمل وجه والشيء الذي أحرص على أن لا أفقده هو احترام الناس ، مادمت أعامل الناس معاملة الرجل الكريم ، وفقدان ذلك ارى أن الموت أفضل منه ، والشيء الذي أهتم به هو العمل ، فاهتمام الانسان بعمله يكسبه محبة الله أولا ثم تقدير الناس وبالتالي يرضي ضميره هو ٠

* عرف لي الحب من فضلك ؟

- الحب في نظري هو الصديق في إبراز وجه

العاطفة الحقيقي لمن أراه جديرا بذلك غير منافق ولا مداجي .

* لو لم تكن مطلق الذيابي ، فماذا تحب أن تكون ؟

- أود أن أكون نفسي ، ذاتي البسيطة ولا غير، لا أني ارى أني أفضل من غيري ، كلا .. أستغفر الله ، أنا لست أحسن من أحد ، ولكن لأني الفت ذاتي وعرفت خيرها من شرها واستطعت أن اروضها على مادرجت عليه .

* وأخيرا ما حب العبادات إليك ؟

- أحب العبادات إلي هي التي وردت في الكتاب والسنة يؤديها الانسان صادقا مع الله متجردا إليه نازعا إلى طلب رضوانه، وأن ركعتين في وقت السحر تعدل الدنيا وما فيها ، وقراءة القرآن بعد صلاة الفجر إمتاع عظيم .

* أستاذ مطلق ، ماقولك المأثور ، أو دعاؤك المأثور؟

- الدعاء المأثور : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار .

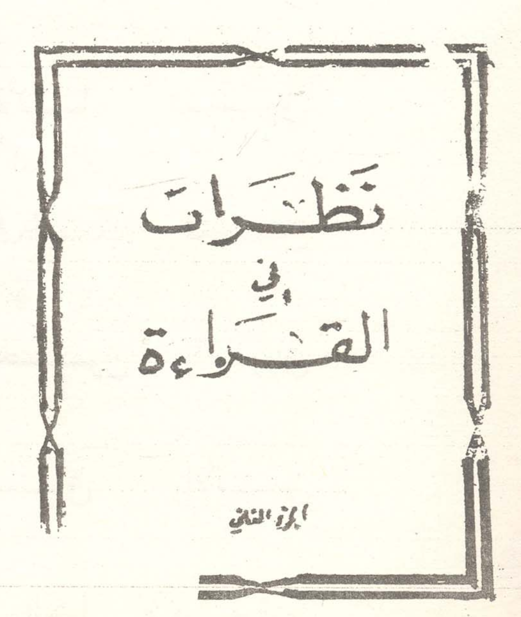
- والقول المأثور عندي :

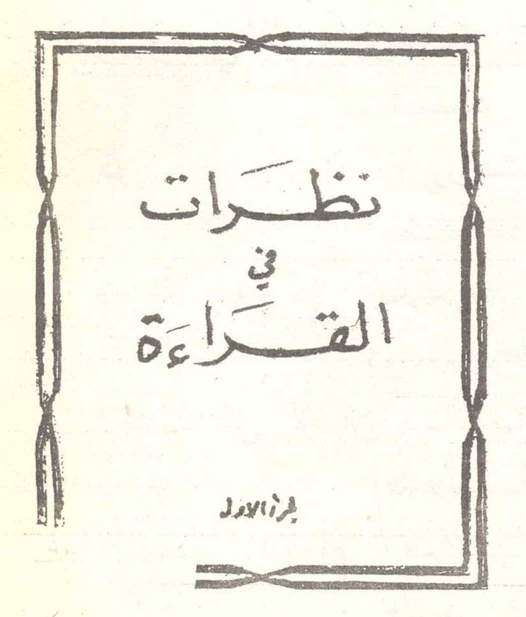
كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يغنيك محموده عن النسب

صدقت والله .. في قولك وعملك فكنت مطلقا خال ، ويكفينا ما عرفنا عنك ، أسكنك الله فسيح جناته .

صدر حديثا

صدر حديثا للأستاذ أحمد الخوص
نظرات في القراءة بجزئيه الأول والثاني ..





مِن وحي البيادِر

شعر: دولة العبّاس

" بيادر العطر " في عيني تأتلق
نعمى فينهد منها الفجر والشفق
" بيادر " ليس أندى من مواسمها
إلا جنى عطرها ، والقمح والحبق !!
أغناها صاحبها من ذوب خاطره
من حر مهجته إذ شفها القلق
تندى بأجفاني معطرة
فيعودهن العطر .. والعبق
والروح في أفياء روضتها
شمس الى الأفياء تنسرق
كون .. وأغنية .. وراعشة
ومواسم بالطيب تنبثق
نام الصباح على مدارجها
واستوطن الحسون والورق
لاحت على الآفاق ساطعة
فلتهنأ الآفاق والألق
وليهنأ " الكرام " منتشيا
فلقد غفا .. والكل قد أرقوا